عجائب

سورة الكوثر

تأليف دكتور

محمد عبد السلام

عجائب

سورة الكوثر

تأليف دكتور

محمد عبد السلام

مكتبة نور

2020

بحثتُ في فلسفاتِ الأرضِ قاطبةً

وعَن دياناتِهم عمَّا سيُنجينا

وطُفتُ في الغربِ مثلَ الشَّرقِ مُكتدِحاً

بخاطري أتحرَّى مَن يمرُّونا

فلم أجِد مثلَ دينِ المصطفى ألَقاً

ولم أجِد مثلَهُ نهراً يُروِّينا

فدينُ أحمدَ يروي كلَّ ظامئةٍ

مِنَ النُّفوسِ ويهدي مَن يضلُّونا

غداً سيعلمُ مَن يَبعونها عِوَجاً

بأيِّنا كانَ مفتوناً ومغبونا

قد فازَ مَن حازَ مِن دينِ الهَدى قبَسا

وباتَ مَن ضلَّ في مسعاهُ مِسكينا

فُزنا بأحمدَ في دُنياً وآخرةٍ

ما دامَ بالنُّورِ في الدَّارينِ يُغشينا

فنحمَدُ اللهَ أنَّ اللهَ شرَّفنا

بدينِهِ حينَ ألقى نورَهُ فينا

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

البقرة (23)

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة.	7 - 6
في رحاب سورة الكوثر	19 - 8
سيمائية عنوان السورة	35 - 20
تآملات فقهية في سورة الكوثر	49 - 36
الاعجاز البلاغي في سورة الكوثر	64 - 50
الاعجاز النفسي في سورة الكوثر	72 - 65
الاعجاز العددي في سورة الكوثر	101 - 73
المراجع	104 - 102

مقدمة:

لما كان أقل المعجز سورة، وكانت سورة الكوثر أقصر سورة، فهي بهذه الخصيصة أقل شيء تحدى هللا به المعاندين للدعوة والجاحدين لها، وهذه السورة تساوي سطرا واحدا في القرآن الكريم، وهذا مما يغري الجاحدين والمعاندين على أن يأتوا بمثلها لو استطاعوا، ولكن دون ذلك خرط القتاد!، فالإعجاز قليله وكثيره سواء، ألنه معدنه ليس مما يستطيعه البشر، فهو تماما كالخلق، فالذي يخلق ذبابة يخلق فيال ويخلق إنسانا، والذي لا يستطيع خلق ذبابة هو لا يستطيع خلق فيل أو إنسان، والذي يأتي بمثل الكوثر يستطيع أن يأتي بمثل سورة البقرة، والذي لا يستطيع أن يأتي بمثلها هو من باب أولى ال يستطيع أن يأتي بمثل سورة البقرة أو غيرها من الطوال؛ وعليه :فإن سورة الكوثر فيها من الإعجاز ما لا يستطيعه الثقلان، إذ ليس بوسع البشر أن يأتوا بمثلها، لأنها ليست مما يقع تحت طاقة البشر، فكيف يأتون بما هو أطول منها!؟.

حارت عقول الباحثين بسورة من كوثر القرآن مثل الجوهر

إن كان حسن صغيرها يسبي النهى أتراك تصبر للطوال الأكبر

وتحدي القرآن الكريم من لا يؤمنون بأنه من عند الله بأن يأتوا ولو شورة واحدة من ممثلي ، قال تعالى : " وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" ولم يفرق هذا التحدي القرآني بين أن تكون السوره المتحدى بها طويلة أو قصيرة ، بل أطلق الكلام إطلاقا ، ولم يعين ، ولم يحدد.

والمعروف أن أقصر سوري في كتاب الله تعالى في سورة الكوثر المباركة فتكون مشمولة أكيدة بالتحدي ، الذي امتد عمره لقرون متطاولة فكانت الغلبه له والخسران المبين لأعدائه .

هذه السورة المباركة على شدة قصرها ، وقلة كلماتها وحروفها سورة معجزه _ فوق _ ما للكلمة من معنى ، فهي لا تتعدى السطر عند الكتابة ، ولكن ترى بأن البشر جميعا أعجز من أن يأتوا بسطر مثله لا تتجاوز كلماته الإحدى عشرة كلمة ، وأن السورة قد نظمها مبدعها بشكل لا يمكن أن يكون بمقدور العقل البشري أن يتصوره تصورا فضلا عن أن يأتي بمثله .

محمد عبد السلام

في رحاب السورة

أولا: تسمية السورة:

سميت سورة الكوثر لافتتاحها بقول الله تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: إنا أعطيناك الكوثر أي الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة، ومنه: نهر الكوثر في الجنة

وذكر ابن عاشور انه سميت هذه السورة في جميع المصاحف التي رآها وفي جميع التفاسير أيضا سورة الكوثر وكذلك عنونها الترمذي في الجامع الصحيح في كتاب التفسير وعنونها البخاري في صحيحه سورة:

"إنا أعطيناك الكوثر" ولم يعدها في (الإتقان) مع السور التي لها أكثر من اسم، ونقل سعد الله الشهير بسعدي في (حاشيته على تفسير البيضاوي) عن البقاعي أنها تسمى (سورة النحر)).

ثانيا: مكان النزول:

سورة الكوثر الصواب أنها مدنية ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس قال بينا رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقال أنزلت علي أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها... الحديث (٢).

والراجح والله اعلم هو أن سورة الكوثر نزلت في المدينة بدليل ما قاله الأمام مسلم رحمه الله.

ثالثا: عدد آياتها:

آياتها ثلاثة بالإجماع، وكلماتها عشر، وحروفها ثنتان وأربعون، فواصل آياتها على الراء(٣)

رابعا: مقاصد السورة:

تضمنت هذه السورة الحديث عن مقاصد أربعة هي:

1- بيان فضل الله الكريم وامتنانه على نبيه الرحيم بإعطائه الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنه نهر الكوثر في الجنة.

2- أمر النبي وكذا أمته بالمواظبة على الصلاة، والإخلاص فيها، ونحر الأضاحي شكرا لله تعالى (4).

3- بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بنصره على أعدائه، وبخزيهم وإذلالهم وحقارتهم، بسبب انقطاعهم عن كل خير في الدنيا والاخره.

4- اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد على ذلك، وحثهم على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم، وأنهم مبعوثون ومسئولون عن إهمال شكر المنعم العظيم (6).

خامسا: مناسبة السورة:

في سورة الماعون، توعد الله الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤدون الزكاة لأنهم مكذبون بالدين، غير مؤمنين بالبعث والحساب، والجزاء، توعد الله سبحانه هؤلاء، بالويل والهلاك، والعذاب الشديد في نار جهنم (7).

وفي مقابل هذا، جاءت سورة الكوثر تزف إلى سيد المؤمنين بالله واليوم الآخر، هذا العطاء الجزيل، وذلك الفضل الكبير من ربه (8)، ومن هذا العطاء، وذلك الفضل، ينال كل مؤمن ومؤمنة نصيبه من فضل الله، وعطائه على قدر ما عمل، وصف الله الكفار والمنافقين الذين يكذبون بالدين أي بالجزاء الأخروي بأربع صفات: البخل في قوله: (يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) وترك الصلاة في قوله: (الذين هم عن صلاتهم ساهون)، والرياء أو المراءاة في الصلاة في قوله: (الذين هم يرآءون) ومنع الخير والزكاة، وفي قوله: (فصل ربك)، أي لرضا ربك لا لمراءاة الناس، في مقابلة المراءاة في الصلاة، و أمره بالتصدق بلحم الأضاحي على الفقراء، في مقابلة منع الماعون (9).

أما وجه اتصالها بما بعدها إنه تعالى لما قال فصل لربك أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه ولا يعيد ما يعبدون وبالغ في ذلك فكرر وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه (10).

سادسا: أسباب النزول:

ذكر العلماء في أسباب نزول سورة الكوثر قولين:

1- عن ابن عباس نزلت في العاص بن وائل وذلك أنه رأى رسول الله لا يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تحدث قال ذاك الأبتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله وكان من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر فأنزل الله تعالى هذه السورة(11).

2- عن يزيد بن رومان قال كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله قال دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه فأنزل الله تعالى في ذلك إاأعطيك الكوثر . إلى آخر السورة وقال عطاء عن ابن عباس كان العاص بن وائل يمر بمحمد ويقول إني لأشنأك وإنك لأبتر من الرجال فأنزل الله تعالى إن شانئك هو الأبتج من خير الدنيا والآخرة(12).

إذن يمكن القول أن سبب نزول هذه السورة هو استضعاف النبي ، واستصغار أتباعه، والشماتة بموت أولاده الذكور، ابنه القاسم بمكة، وإبراهيم بالمدينة، والفرح بوقوع شدة أو محنة بالمؤمنين، فنزلت هذه السورة إعلاما بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قوي منتصر، وأتباعه هم الغالبون، وأن موت أبناء الرسول لا يضعف من شأنه، وأن مبغضيه هم المنقطعون الذين لن يبقى لهم ذكر وسمعة، البعيدون عن كل خير.

سابعا: تحليل كلمات السورة الكوثر في اللغة:

هو من الكثرة، وهو المفرط في الكثرة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر، أي: بالعدد الكثير، وهو كجوهر (الكثير من كل شيء)، والكوثر: الرجل الخير المعطاء، كثير العطاء والخير وهو السخي الجيد، قال الكميت: «وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا ويقال للغبار إذا سطع وكثر: كوثر»(١٣).

وأما معنى (الكوثر) في هذه الآية: فهو خاص بالنبي ، وقد ذكر له المفسرون ستة عشر قوة أو أكثر، ولا يسع المقام في ذكرها هنا، والموقف الصحيح للاهتداء إلى مدلول هذا اللفظ القرآني أن نرجع إلى:

- استعمال اللفظ في أصل اللغة.

- وإلى المأثور عن النبي ، وبالنسبة لاستعمال اللغة: فهو – كما فهمنا- مشتق من الكثرة، فهو دال على الكثرة المبالغ فيها، وبالنسبة للمأثور دل على أن معنى (الكوثر): نهر في الجنة، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر وعدنيه ربي- عز وجل - في الجنة عليه خير كثير»(14).

فلم يبينه الرسول بالنهر فقط، بل نهر عليه خير كثير، فيكون المعنى: أعطيناك الخير الكثير، الزائد في الكثرة على العادة، ومن هذا الخير الكثير ما ادخرناه لك في الجنة، وهو نهر الكوثر.

فالتفسير المأثور واللغة: تطابقا على أن المعني: الخير الكثير، وهذا الفهم سبقنا إليه الصحابي ابن عباس : فعن ابن عباس نه أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه» (15).

النحر في اللغة: يتعلق بنحر الإبل فقط ولا تستعمل مع غير الإبل، يقال ذبح الشاة وقد يستعمل الذبح للجميع وللبقر والطيور والشاة والإبل لكن النحر خاص بالإبل لأنها تنحر من نحرها فأراد الله تعالى أن يتصدق بأعز الأشياء عند العرب فلو قال اذبح لكان جائزة أن يذبح طيرة أو غير ذلك ومعروف أن الإبل من خيار أموال العرب، وبما أن الله تعالى أعطى رسوله بالخير الكثير والكوثر فلا يناسب هذا العطاء الكبير أن يكون الشكر عليه قليلا لذا اختار الصلاة والنحر وهما أعظم أنواع الشكر (16).

والشانئ: المبغض و الأبتر المنقطع عن الخير وهذا نزل في العاص ابن وائل قال عن النبي * إنه أبتر لأن عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد مات (17).

الأبتر في اللغة لها عدة معان:

1- كل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر.

2- إذا مات أولاد الشخص الذكور أو ليس له أولاد ذكور أصلا.

3- الخاسر يسمى ابتر (18).

ثامنا: القراءات القرآنية:

ذكر علماء القراءات بعض القراءات وأحكام التجويد:

1- قرأ (شانيك) بإبدال الهمزة ياء مفتوحة أبو جعفر كوقف حمزة (19).

2- قرأ الجمهور (أعطيناك) بالعين، وقرأ الحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني: (أنطيناك) بالنون، وهي قراءة مروية عن رسول الله ، قال التبريزي: هي لغة للعرب العاربة من أولي قريش، وعلى هذه اللهجة تسير الآن اللهجة العامية المعاصرة في العراق (20).

تاسعا: الإعراب:

قولة تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر) افتتح الكلام بحرف التأكيد، للاهتمام بالخبر، وللإشعار بأن المعطى شيء عظيم، أي: إنا أعطيناك بفضلنا وإحساننا. أيها الرسول الكريم - الكوثر، أي: الخير الكثير الذي من جملته هذا

النهر العظيم، والحوض المطهر، فأبشر بذلك أنت وأمتك، ولا تلتفت إلى ما يقوله أعداؤك في شأنك، وأصل إنا إننا فحذفت أحدى النونات الاجتماع الأمثال والمحذوفة هي الثانية بدلالة جواز حذفها في إن فتقول إن زيد لقائم فتحذف الثانية وتبقى الأولى على سكونها س اكنة ولو كانت المحذوفة هي الأولى لبقيت الثانية متحركة لأنها كذلك كانت قبل الحذف ولا يجوز حذف الثالثة لأنها من الاسم(21).

قوله تعالى (فصل) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمراد بالصلاة: المداومة عليها، وقيل للتعقيب: أي عقب انقضاء الصلاة(23).

قوله تعالى (لربك) متعلقان بالفعل والجملة معطوفة على ما قبلها.

قوله تعالى (وانحر) معطوف على ما قبله.

قوله تعالى (هو الأبتر): يجوز أن يكون (هو) مبتدأ، و (الأبتر) خبره والجملة خبر (إن)، وأن يكون فصلا وقال أبو البقاء: (أو توكية) وهو غلط منه لأن المظهر لا يؤكد بالمضمر، والأبتر: الذي لا عقب له، وهو في الأصل الشيء المقطوع، من بتره، أي: قطعه (23).

الصرف: (الكوثر)، اسم علم لنهر في الجنة، وزنه فوعل من الكثرة، والعرب تسمي كل شيء كثير العدد أو كثير القدر والخطر كوثر، أو هو وصف لموصوف محذوف أي الخير الكوثر، وفي التفسير لمعنى الكوثر ستة عشر قولا، كالحوض والنبوة والقرآن (24) .

(شانك)، اسم فاعل من شنأ بمعنى أبغض، وزنه فاعل، (الأب)، صفة مشبهة من بتر بمعنى قطع باب نصر متعد، ومن باب فرح بمعنى انقطع لازم، وزنه أفعل أي منقطع العقب (25).

عاشرا: البلاغة:

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يأتي:

1- صيغة الجمع الدالة على التعظيم (إنا أعطيناك) بما يسمى ضمير التعظيم ويستعمل إذا كان المقام مقام تعظيم و تكثيرا ويستعمل الإفراد إذا كان المقام مقام توحيد أو مقام آخر كالعقوبة المنفردة ولم يقل: أنا أعطيتك، فانظر إلى الشخص الذي كناه الله سبحانه مع جلاله بصيغة الجمع كيف يكون علو شأنها (26)

2- أنواع من التأكيد: أحدها: تصدير الجملة بإن، الثاني: الإتيان بضمير الفصل الدال على قوة الإسناد والاختصاص، الثالث: مجيء الخبر على أفعل التفضيل، دون اسم المفعول، الرابع: تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه، وأنه أحق به من غيره(27).

3- جاء الفعل بلفظ الماضي الدال عن التحقيق، وأنه أمر ثابت واقع، ولا يدفعه ما فيه من الإيذان، بأن إعطاء الكوثر سابق في القدر الأول حين قدرت مقادير الخلائق، قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة(28).

4- المبالغة (29) في لفظة الكوثر تفيد (فوعل وفيعل) تدل على المبالغة المفرطة في الخير (30).

5- الاختصاص والاهتمام؛ فالله تعالى أعطى نبيه الكوثر اختصاصا له وليس لأحد سواه وللاهتمام أيضا وإذا كان ربه هو الذي أعطاه حصرا فلا يمكن لأي أحد أن ينزع ما أعطاه الله من حيث التأكيد في تركيب الجملة (31).

6- إفادة الحصر(32) (إن شانئك هو الأبتر) .

7- المطابقة(33)، بين أول السورة وآخرها بين (الكوثر والأبتر) فالكوثر الخير الكثير، والأبتر المنقطع عن كل خير (34).

8- الالتفات (35) من المتكلم إلى الغائب (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر). ومقتضى الظاهر لنا، في هذا الالتفات عن ضمير العظمة، إلى خصوص الرب، مضافا إلى ضميره ، تأكيد لترغيبه في أداء ما أمر به على الوجه الأكمل (36).

9- الفرق بين الإيتاء والإعطاء: قال الفاضل النيسابوري: في الإعطاء دليل التملك دون الإيتاء، قلت: ويؤيده قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) (37).

10- الاستعارة(38): في قوله تعالى (إن شانئك هو الأبتر) . قيل لمن لا عقب له أبتر، على الاستعـارة، حيث شبـه الولـد والأثر الباقي بالذنب، لكونه خلفه، فكأنه بعده، وعدمه بعدمه (39).

الحادي عشر : المعنى العام:

الخطاب في الآيات موجه إلى النبي لا بسبيل البشري والتطمين، فقد أعطاه الله الكوثر، فعليه أن يصلي لربه ويقرب إليه القرابين شكرا، ويتأكد أن عدوه ومبغضه هو الأبتر، وهذه السورة خالصة لرسول الله و كسورة الضحى، وسورة الشرح، يسري عنه ربه فيها، ويعده بالخير، ويوعد أعداءه بالبتر، ويوجهه إلى طريق الشكر، ومن ثم فهي تمثل صورة من حياة الدعوة، وحياة الداعية في أول العهد بمكة، صورة من الكيد والأذى للنبي ودعوة الله التي يبشر بها وصورة من رعاية الله المباشرة لعبده وللقلة المؤمنة معه ومن تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه ومرهوب وعيده لشانئه، كذلك تمثل حقيقة الهدى والخير والإيمان (40)، وحقيقة الضلال والشر والكفران، الأولى

كثرة وفيض وامتداد، والثانية قلة وانحسار وانبتار، وإن ظن الغافلون غير هذا وذاك، ورد أن س فهاء قريش ممن كانوا يتابعون الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته بالكيد والمكر وإظهار السخرية والاستهزاء، ليصرفوا جمهرة الناس عن الاستماع للحق الذي جاءهم به من عند الله، من أمثال العاص ابن وائل، وعقبة بن أبي معيط، وأبي لهب، وأبي جهل، وغيرهم، كانوا يقولون عن النبي لا إنه أبتر، يشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده، وقال أحدهم:

دعوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهي أمره! وكان هذا اللون من الكيد اللئيم الصغير يجد له في البيئة العربية التي تتكاثر بالأبناء صدى ووقعا، وتجد هذه الوخزة الهابطة من يهش لها من أعداء رسول الله وشانئيه، ولعلها أو جعت قلبه الشريف ومسته بالغم أيضا، ومن ثم نزلت هذه السورة تمسح على قلبه بالروح والندى، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربه وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه(41).

والكوثر بثاء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ، والثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير فإن قيل إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم، والثالث: أن الكوثر القرآن، والرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع، والخامس: أنه التوحيد، والسادس: أنه الشفاعة، والسابع: أنه نور وضعه الله في قلبه. ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء (42).

فصل لربك وأنحر فيه خمسة أقوال:

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدى والضحايا.

الثاني: أنه كان يضحي قبل صلاة العيد فأمره أن يصلي ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.

الثالث: أن الكفار يصلون مكاء وتصديه وينحرون للأصنام فقال الله لنبيه ل صل لربك وحده وأنحر له أي لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص (43).

الرابع: أن معنى أنحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر (44).

الخامس: أن معناه ارفع يديك عند نحرك في افتتاح الصلاة إن شانئك هو الأبتر الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل وقيل في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمدا أبتر أي لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد الأنه مبتور من رحمة الله أي مقطوع عنها ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم (45) .

الثاني عشر : ما يستفاد من السورة:

دلت السورة على ما يأتي:

1- أعطى الله عز وجل نبيه محمدا مناقب كثيرة، و خيرا كثيرا عظيما بالغاحد النهاية، ومنه نهر في الجنة، كما روى البخاري ومسلم وأحمد والترمذي عن أنس (46).

2- أمر الله تعالى نبيه وأمته بأداء الصلوات المفروضة والنوافل خالصة لوجه الله تعالى، دون مشاركة أحد سواه، وأمرهم أيضا بذبح المناسك مما يهدي إلى الحرم والأضاحي و جميع الذبائح لله تعالى، و على اسم الله وحده لا شريك له (47).

3- إن مبغضي النبي وما جاء به من شرع ربه هم المنقطعون عن خيري الدنيا والآخرة، والذين لا يبقى لهم ذكر مسموع بعد موتهم لأنهم لم يؤمنوا برسالة الحق، ولم يعملوا من أجل الحق والخير المحض الله سبحانه و تعالى (48).

4- بيان إكرام الله تعالى لرسوله محمد (49)

5- في السورة بشرى وتطمين للنبي وتنديد بمبغضيه، وقد روي أنها مدنية ومضمونها وأسلوبها يلهمان مكيتها وهو ما عليه الجمهور.

إذا هذه السورة تضمنت بيان نعمة الله على رسوله بإعطائه الخير الكثير، ثم الأمر بالإخلاص لله عز وجل في الصلوات و النحر، وكذلك في سائر العبادات، ثم بيان أن من أبغض الرسول ، أو أبغض شيئا من شريعته فإنه هو الأقطع الذي لا خير فيه ولا بركة فيه، نسأل الله العافية والسلامة.

سيمائية عنوان السورة

تُرد لفظة السيميائية إلى الأصل اليوناني semeion، الذي يشير إلى: سمة مميزة Marquee distinctive، أو أثر Trace، أو قرينة Induce، أو علامة منذرة Singe precursor، أو دليل Prevue، أو بصمة Imprints إلى غير ذلك من دلالات متقاربة يمكن جمعها تحت مسمى عام واحد هو Sema بمعنى علامة[1] Sign، التي تتألف من دال ومدلول.

وهذه اللفظة تماثل ما في العربية شكلا ومعنى، فالسيميائية والسيمائية والسيمياء، وعلم السيمياء تُرد كلها إلى الثلاثية المعجمية العربية:(سمو)، و(سوم)، و(وسم)، إذ تتيح لنا

لفظة (سمو) [٢] معنى: العلو، حتى سمّت العرب كلّ عالٍ سماء، فقيل لظهر الفرس سماء، وللنبات سماء، ويقال: إنّ أصل (اسم) سِمو، وهو من العلو؛ لأنّه دلالة على المعنى.

وتتيح اللفظة(سوم) [٣] معنى((العلامة تجعل في الشيء، والسيما مقصور من ذلك، قال تعالى:﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[٤]، فإذا مدّوه قالوا السيمياء)) [٥]. ومنه قولهم:"سيما فلان حسنة"، قال أبو بكر الأنباري(ت٣٢٨هـ) :((معناه علامته، وهي مأخوذة من وسمت الشيء أسمُهُ، إذا أعلمته... فزاد على "سيما" ألفاً ممدودة، ومعنى الحرف في مدّه كمعناه في قصره)) [٦].

وتتيح اللفظة الثالثة (وسم) معنى يدلّ على أثر ومَعْلم، تقول:((وسمت الشيء وسما: أثرت فيه بسِمَة، والوسميّ أول المطر؛ لأنّه يسمُ الأرضَ بالنبات، وسمّي موسم الحاج موسما؛ لأنّه مَعْلم يجتمع إليه الناس، وفلان موسوم بالخير، وفلانة ذات ميسم، إذا كان عليها أثر الجمال، والوسامة: الجمال، وقوله تعالى: إِنَّ **فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ** ﴾[٧] أي الناظرين في السمة الدالة)) [٨].

وبحسب هذا يتضح التقاء هذه المادة المعجمية العربية مع نظيراتها الأجنبيات التي

تؤول إلى النواة اللغوية اليونانية القديمة، فلا حاجة لترجمتها ترجمة تربك الدرس النقدي[٩] على النحو الذي نجده في فوضى المصطلحات للترجمات المختلفة.

وقد نشأ علم السيمياء، أو السيميائية ــ بتحديد موضوعها وجهازها المفاهيمي ومنهجها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، باسم السيميائية Semeiotic حينا والسيميولوجيا Semiologic حينا آخر، بإسهام أوربي ــ أمريكي مشترك في وقتين متزامنين نسبيا على يد العالم اللغوي السويسري فريدناند دي سوسير F. De. Sasurssre(١٨٥٧–١٩١٣م)، والفيلسوف الأمريكي تشارلز سندرس بيرس C.S. Perice(١٨٣٩–١٩١٤م)، وموضوعه دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية[١٠]، التي يختلف مفهومها باختلاف النظريات والاتجاهات، لكنها تظل في النهاية شيئا يقوم مقام شيء آخر في علاقة ما أو تحت صفة ما، تجعلنا دائما نعرف شيئا إضافيا[١١].

وبهذا تصبح المقاربة السيميائية ((كلّ عملية تأمل للدلالة، أو فحص لأنماطها، أو تفسير لكيفية اشتغالها، من حيث شكلها وبنيتها، أو من حيث إنتاجها واستعمالها وتوظيفها)) [١٢]. ، أي إنّ

هدف السيميائية هو استكشاف المعنى، وهذا يعني أنها لا يمكن أن تختزل في وصف التواصل وحده، فهي إجراء أعمّ من التواصل لصعوبة حصر نيّة التواصل بالفعل النفساني أو الاجتماعي أو الأيديولوجي إلى غير ذلك، فضلا عن صعوبة تحديد مفهوم التواصل، أيكمن في الظاهر المباشر مفهوما بوصفه إرادة فعل أو إرادة معرفة، أم بالضمني غير المباشر مفهوما بوصفه ليس إرادة فعل أو معرفة؟. فالمعنى الذي تريد السيميائية العناية به، يتجاوز مشكل الاتصال الذي تتضمنه، فهو شكل خاص منها، ذلك أنّ الاتصال النفعي في حقل الاستدلال يعدّ معطى يفرض مسارا إجباريا يقلص كلّ التباس أو تعددية للقراءات الممكنة، كالذي يوجد في آيات الأحكام، بافتراض أنّ الأمر لا يتعلق برسالة مشفرة تشفيرا عاما فتكون قابلة للفهم في مستوى أحادي الاستدلال.

فالسيميائية التي تأسست على فكرة العلامة لم تتأسس على التساوي وعلى التعالقين القارّ والمحدد من قبل السنن وعلى التكافؤ بين العبارة والمضمون، بل تأسست على الاستدلال والتأويل وديناميةتوليد الدلالة[١٣]، إذ تحوّلت عنايتها نحو توليد النصوص وتأويلها وانحرافات التأويلات، ونحو الحوافز الإنتاجية، فضلا عن المتعة نفسها المتأتية من توليد الدلالة.

وهذا يعني أنّ السيميائية تتعامل مع النصّ من حيث مساره الشكلي والدلالي والتداولي، الذي يتعلق بالبنيات التأويلية التي تتقاطع مع مباحث غير سيميائية تدخل في إطار جمالية التلقي عموما، ليأخذ التأويل السيميائي حيزه بين المناهج التأويلية الأخرى، شريطة حصر حريّة المؤول في إطار العثور على المعنى بالطرائق الدلالية والنحوية والتداولية المختلفة، التي تخرجنا من نطاق كلمات النص بوصفها وحدات تحليل، إلى وحدة الفعل بوصفها الوحدة الأساسية التي تقوم عليها العملية التواصلية، وهذا يعني أنّ التأويل السيميائي(١٤) لا يستطيع إسباغ أيّ معنى شاء على النص، بل المعنى الذي يرتبط بالنص عن طريق الشفرة التأويلية التي يمكنها أن تولّد المعنى بوضع النص بين نصوص أخرى فعلية أو محتملة يمكن ربطه بها للانسجام الخصب المعرفي النوعي للقارئ مع الخصب الأدبي والجمالي والإبداعي للنص المقروء.

ويشتغل المنهج السيميائي على العنوان بوصفه علامة لسانية يمكن أن ترسم على نص ما، من أجل أن تشير إلى المحتوى العام ومن أجل جذب القارئ (١٥)، فهو يمثل ((الكلمة الأولى التي تختزل المحتوى، والواجهة التي تغري القارئ فتولد فيه رغبة الاطلاع، وهكذا

يشكل أولى مفاتيح القراءة التي تفتح أمام القارئ طريقاً لاكتشاف معالم نصه))[١٦].

ومن هنا أصبح العنوان مصطلحاً إجرائياً ((في مقاربة النصّ الأدبي، ومفتاحاً أساساً يتسلح به المُحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها، ويستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النص من أجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية وان يضيء لنا في بداية الأمر ما أشكل من النص وغمض))[١٧]، لأن دلالة العنوان ترتبط بالنص بوصفه رسماً، أي أثراً أو علامة، وفي هذه الحال يتداخل عنصران متضافران، أولهما: المعنى الحرفي الذي تقدمه الألفاظ للعنوان، وثانيهما: السياقين الثقافي والاجتماعي العام الذي يؤطر النص[١٨]، فالعنوان عقد أدبي بين المؤلف والكتابة من جهة، وعقد قرائي بينه وبين جمهوره وقرائه من جهة أخرى[١٩].

ويمكن توضيح ذلك بالاستعانة بمخطط رومان ياكوبسن (R. Jacobson) في وصف الخطاب [٢٠].

المعنون(المؤلف)–عنوان النص–القارئ/ الجمهور

فالعنوان يمكن أن يدرس من زاوية المتكلم بوصفه اختياراً من مجموع الممكنات، ومن زاوية

النص بوصفه علامة، ومن زاوية القارئ بوصفه أثراً يعمل على جذبه والتأثير فيه.

ولمّا كان العنوان وسم من جهة وضعه، ووسم من جهة تفسيره [٢١]، فإنه يستطيع أن يحقق الوظائف الآتية:[٢٢]

١ــ التسمية:

٢ــ تعيين محتوى النص أو الإيحاء به.

٣ــ جذب القارئ وإغراؤه.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية:

اسم السورة هو عنوان لها، ويعرّف العنوان [٢٣]، بأنه علامة لسانية تتألف من: كلمة أو كلمات أو جمل، وأحيانا نص، تظهر على رأس النص(المتن)، لتدلّ عليه وتعيّنه، وتشير إلى محتواه الكلي، وتجذب جمهوره الموجّه إليه.

وأسماء السورة القرآنية توقيفية من الله تعالى عن طريق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ جعل لكل سورة اسما خاصا يميزها من سواها [٢٤]، وهناك أسماء اجتهادية غير توقيفية. ولسورة الكوثر [٢٥] اسم توقيفي واحد هو (الكوثر)، وهو المثبت في المصحف الشريف، واسمان اجتهاديان، الأول جملة وهو:(إنّا أعطيناك الكوثر)، والآخر كلمة:(النحر).

وترد التسمية الاجتهادية الأولى إلى بدء

السورة الكريمة بالآية:﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٢٦]، وقد عرفت هذه التسمية عند الصحابة، فعن عمرو بن ميمون [٢٧]، قال:((لمّا طعن عمر وماج الناس تقدم عبد الرحمن بن عوف فقرأ سورتين في [٢٨]القرآن: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾،و﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾...))[٢٩]، وبذلك عنون لها البخاري(ت٢٥٦هـ) في صحيحه[٣٠]، وعنون لها الثعالبي(٨٧٥هـ) في تفسيره[٣١]. وسميت بذلك؛ لأنها أوّل آية افتتحت بها السورة [٣٢]، للدلالة على السورة الكريمة كلها.

وبذلك تختلف هذه التسمية عن التسمية التوقيفية (الكوثر)؛ إذ عبّرت عن صيغة الإعطاء، بوجود معطٍ هو (الله تعالى) المعظّم بضمير الجمع(نا)، فمجيء الكلمة(الكوثر) في نسق إسنادي كامل يحسن السكوت عنه، جعل العنوان أكثر وضوحاً وانطباقاً على السورة، فضلا عن المعاني الأخرى التي أوجدها الإسناد.

أمّا التسمية الاجتهادية الثانية للسورة فهي:(النحر)، وقد ذكرها البقاعي (٨٨٥هـ)[٣٣]، وتابعه بعض المفسرين[٣٤]، وسوّغ البقاعي هذه التسمية بقوله: ((لأنه معروف في نحر الإبل،وذلك غاية الكوثر عند

العرب))[٣٥]، فتكون هذه التسمية الاجتهادية دالة على معنى الكوثر من دون لفظه، ومعنى الكوثر في النحر يكون من جهة المخاطب (بفتح الطاء)، التي تقابل كوثر المخاطب(بكسر الطاء)، فتصبح هذه التسمية التداولية غير التوقيفية قريبة المعنى من الاسم التوقيفي (الكوثر)بفارق هو أن التسمية التوقيفية أشمل دلالة؛ لأنها تتصل بالخير الكثير المعطى من الله تعالى لنبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الدنيا والآخرة، في حين يقتصر معنى الكوثر في النحر على الدنيا فقط، وليست توقيفية من النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٣٦].

وعلى الرغم من أن الشيء المهم في نظام العنونة ــ بحسب جينيتGentte ــ هو العنوان الرئيس (الأصلي)، لكننا كلما وجدنا عنواناً مصدراً وحده، فهو دائماً يخضع للمعادلة الآتية:(عنوان +عنوان فرعي)، أو(عنوان+ مؤشر جنسي)[٣٧]، أي ما يشير إلى الجنس الأدبي للعنوان الرئيس كأن يكون قصة أو رواية، أو مسرحية، إلى غير ذلك، وهذا ما نجده إلى جانب اسم (الكوثر)، إذ يأتي عنوانها بهيأة شبه إضافة ينقل من الرسالة لإضافة عناوين السور غير واردة إلى لفظة

(سورة) التي تشير إلى أن عنوان (الكوثر) إنما هو قرآن، وفي ذلك إيحاء قرائي يشير إلى الطريقة التي يجب أن يقرأ بها النصّ بوصفه بنية غير منغلقة، فهو بهذه النظرية يكون منتمياً إلى ثقافة أدبية، والى مجتمع حقيقي لازم لفهم دلالات بالإحالة إلى شواهد ثقافية وبنيات اجتماعية وأيديولوجية[٣٨].

وإذا كانت اللغة هي البوابة التي يدخل منها النصّ إلى عالمه الرحب، فإن الدخول إلى عالم النص، ينطلق من العنوان، فهو العنصر الأساس في التشكيل الأدبي، إذ يقود إلى خيوط أساسية في بناء النص وحلّ شفراته، إذ توحي قراءته الأولى احتمالات تسعى إلى تجميع المغزى، تليها القراءة الثانية[٣٩].

فالكوثر من الكلمات المفتاحية[٤٠]؛ بسبب غموض دلالاتها فهي ككلمة شيء، تشير إلى أي شيء كان.

والكوثر في اللغة:((أصل صحيح يدل خلاف القلّة من ذلك الشيء الكثير، وقد كثر، ثم يزاد فيه للزيادة في النعت، فيقال: الكوثر الرجل المعطاء، وهو فَوْعل من الكثرة))[٤١].

فالكوثر صفة للمبالغة، نحو قولهم:(رجل كوثر)، أي كثير العطاء والخير، ويكون ذاتا

موصوفة بكثرة الخير، بحسب ما ورد في اللسان:(الكوثر: السيد الكثير الخير)، وعلى هذا تكون كلمة(الكوثر) صفة وموصوفا، فهي تعني شيئين: الكثرة، وهي صفة، و(الخير) بوصفه شيئا، فهي تعني الخير الكثير، وليس الكثير فقط، ولذلك يقال:(هو رجل كوثر) ونسكت، ولا يقال: رجل كثير ونسكت حتى تتمّ ذلك بقوله: رجل كثير الخير أو كثير العطاء أو كثير المال إلى غير ذلك،وتقول: اقبل الكوثر، أي السيد الكثير الخير، ولا تقول: أقبل الكثير[٤٢].

وقد ذكر المفسرون؛ قدماء ومحدثون معاني متعددة لمعنى(الكوثر)، ويبدو أن كثرة الدلالات نتج بفعل انفتاح النص واختلاف زاوية رصد المفسر للنص، فمنهم من اعتمد على المأثور من أحاديث نبوية شريفة، وشواهد تتعلق بأسباب النزول، ومنهم من نظر إلى سياق النص ليجيء بمعان تتناسب دلالياً مع السياق اللغوي وعلاقاته المعقدة. ونجد أن أغلبهم قد ذكر المعاني كلها؛ لأنهم وجدوها ملائمة ومؤدية للغرض، وسبب ذلك أن معاني كلمة (الكوثر) ككلمة الشيء، كلاهما معرف بـ(أل)لكن (ألـ)التعريف لا تفيدهما تعريفاً، فهي معرفة كالنكرة، وبذلك تكون قريبة من

اسم الموصول من ناحية غموض معناه الذي يحتاج إلى جملة الصلة التي تصفه لتحـــدده، فعندما نقول:"جاء الذي...."، لا نفهم من الذي جاء، وكذلك قول المفسرين بأنّ الكوثر هـــو: الخير الكثير[٤٣]، إذ لا يمكن تحديـــد ماهيـــة الشيء وكميته.

وبهذا أصـــبحت كلمـــة(الكوثر) خصـــبة التأويل، فكل خير كثير يصدق عليها، ومـــن ذلك ما قيل إنها تعني (نهر فـــي الجنـــة)[٤٤]، معتمدين في ذلك على حديث للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اختلفوا في إيراد نصه، قال أنس بينما رسول الله (صلّى الله عليـــه وآلـــه وسلّم) ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلت: ما أضحكك يـــا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ سورة الكوثر، ثم قال: أتدرون مـــا الكـــوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قـــال:((فإنـــه نهـــر وعدنيه عليه ربي خيراً كثيراً، وهو حوضي، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجـــوم السماء، فيختلج القرن فيهم، فأقول:((يـــا رب إنهم من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحـــدثوا بعدك))[٤٥] وروي في صفته، أنه أحلى مـــن العسل وأشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج،

وألين من الزبد، لا يظمأ من شرب منه أبداً[٤٦].

وعندما فسر ابن عباس(ت٦٨هـ) الكوثر بإطلاق المعنى: بالخير الكثير، قال له سعيد بن جبير: فإنّ أناساً يقولون: هو نهر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير[٤٧].

وقيل إنّ الكوثر هو (الحوض)[٤٨]، ويقال إنه لمّا قال سعيد بن جبير: الكوثر: الخير الكثير، قيل له: فقد قيل: إنه الحوض. فقال: الحوض من الخير الكثير[٤٩]. وقيل: إن الكوثر هو الإسلام[٥٠]، وقيل إنّه القرآن[٥١]، وقيل النبوة[٥٢].وقيل: كثرة النسل من ولد السيدّة فاطمة الزهراء (عليها السلام)[٥٣]، وقيل: كثرة الأصحاب والأتباع[٥٤]، وقيل: الشفاعة وقد نقل هذا الرأي عن الإمام الصادق (عليه السلام) [٥٥]، وقد نقل عنه أيضاً أنه نور في قلبه دلّ عليه وقطعه عما سواه[٥٦].، وقيل: التوحيد[٥٧]، وقيل تيسير القرآن وتسهيل الشرايع[٥٨]، وقيل: الإيثار[٥٩]، وقيل:الذكر الجميل في الدنيا والآخرة[٦٠]، وقيل: علماء أمته[٦١]، وقيل:الفضائل الكثيرة التي فيه[٦٢]، وقيل: رفعة الذكر[٦٣]، وقيل:العلم[٦٤]، وقيل: الخلق الحسن[٦٥]، وقيل: الكوثر هذه السورة[٦٦]،وقيل:لا إله إلا الله محمد رسول

الله[٦٧]، وقيل: الفقه في الدين[٦٨].،وقيل: الصلوات الخمس[٦٩]، وقيل: العظيم من الأمر[٧٠]، وقيل:العلم والعمل وشرف الدارين[٧١]، وقيل: المقام المحمود[٧٢]، وغيرها.

ويمكن القول إنّ كلّ المعاني التي ذكرها المفسرون صحيحة، بل تستطيع كلمة(كوثر) استيعاب معانٍ جديدة، ترتبط بقدرة المؤول وأدواته وثقافته وخبرته الجمالية وما يتناسب مع مقتضيات العصر؛ لأنّ القرآن الكريم نص إشاري قادر على تحقيق متطلبات كلّ عصر ويتفاعل مع الثقافات المتعددة والأغراض المختلفة.

وبهذا التوجيه يصبح العنوان(الكوثر) أكثر انضباطا وإحكاماً في تفسير النص من منظور نفسي أو وظيفي إذ ترتبط هذه الكلمة ارتباطا عضوياً بالسورة الكريمة. ورصد فاعلية التسمية فيها أسهل من غيرها، فهي تتألف من ثلاث آيات، ويكون(الكوثر) هو الملمح الأكثر هيمنة في بنية السورة،فهي تتصل بباقي الآيات على المستوى الدلالي العميق؛لأن الأمر بالصلاة والنحر، ووصف الشانئ يتعالق بالإعطاء المعبر عنه بـ(الكوثر)؛ لأننا نستطيع أن نقول ما دام الإعطاء غير محدد

فيجب على المعطى له أن يكون شكره غير محدد أيضاً، فالصلاة هنا ليست الصلاة المفروضة، بل هي صلاة شكر أو الجمع بينهما[٧٣]، ومثل ذلك صلاة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عندما نزلت عليه آية تكريم شبيهة بآية الكوثر ،وهي:﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٧٤]، فقام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتى تورمت قدماه فقيل له: قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال:((أفلا أكون عبدا شكوراً))[٧٥].

وبهذ يتضح أنّ هناك كوثرين هما: كوثر المعطي المطلق، وكوثر المعطى له في الصلاة الكثيرة والنحر الكثير، فتتضح علاقة عنوان السورة الكريمة بالآية الأولى والثانية، أما الآية الثالثة فتتصل بالكوثر من حيث التضاد الذي يظهر في تقديم رؤية قرآنية جديدة مخالفة للرؤية السائدة بأنّ النسل هو الامتداد الطبيعي الأساس لتحقيق رغبة الخلود عند الإنسان، أو هو المفضل في الرؤية الجاهلية بالقياس إلى المآثر والأعمال الحميدة التي يخلفها الإنسان، بدليل أن القرآن الكريم جعل المنقطع الذكر، أو الأبتر هو الكافر الذي لا عقب له ((إنّ شانئك هو الأبتر))؛ لأنّ العقب غير مضمون أن يكون خيراً، ومصداقه

بحسب أسباب النزول هو(العاص بن وائل)[٧٦]، أو(عمرو بن العاص)[٧٧]، أو (أبو جهل)[٧٨]، أو (عقبة ابن أبي معيط)[٧٩]، أو كفار قريش بشكل عام[٨٠]، وهؤلاء لم يغنهم الولد في شيء؛ إذ نقطع ذكرهم عن الخير[٨١] ، في حين أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي شمتت به قريش إثر وفاة ولديه هو صاحب الكوثر لما تحمل هذه الكلمة من معانٍ قرآنية مطلقة تخالف ما تعارف عليه الجاهليون، فالعقب في هذه الرؤية قد يكون جزءاً من الكوثر إذا كان مؤمنا

تآملات فقهية في سورة الكوثر

أولا: صيغة الأمر وتطبيقاتها في سورة الكوثر

1- تعريف الأمرالأمر لغة:

المعروف، وهو ضد النهي، ويأتي بمعنى الشأن، فالأمر إذا كان المراد به ضد النهي؛ فجمعه أوامر، وإما إذا كان بمعنى الشأن فجمعه أمور، وعليه أكثر الفقهاء، وهو الجاري في السنة الأقوام، واختلفوا في واحد أمور، وأوامر؛ فقال الأصوليون: أن الأمر بمعنى القول المخصص يجمع على أوامر، وبمعنى الفعل أو الشأن يجمع على أمور، ولا يعرف من وافقهم إلا الجوهري في قوله: أمره بكذا أمرا وجمعه أوامر، والأمر بمعنى الحال جمعه أمور، والأمر بمعنى الطلب جمعه أوامر فرقا بينهما(14). يتضح أن الأمر يراد به الطلب ، والأمر يجمع على أوامر .الأمر اصطلاحا: «طلب الفعل على جهة الاستعلاء» (15)، أو «استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء» (16).ومن هذين التعريفين يتبين ما يأتي:

1- إن الأمر نوع من أنواع الطلب، فالكلام؛ إما طلب أو خبر (17).

2- إن الأمر "حقيقة في القول المخصوص فقط"(18) فمقتضى الأمر طلب القيام بالفعل، بخلاف النهي الذي هو طلب الكف عنه.

3- المراد بالقول حقيقة بما يصدق عليه «اللفظ الدال على معنى» (19)، فيخرج بذلك الإشارة.

4- أنه يكون على وجه الاستعلاء من جهة الأمر، أما الذي يكون الأمر فيه برتبة المأمور فهو التماس، وإن كان أدون منه فهو دعاء وسؤال.

2- المسائل الأصولية وتطبيقاتها في سورة الكوثر:

المسألة الأولى: صيغ الأمر عند الأصوليين وتطبيقاتها في سورة الكوثر.
للأمر أربع (20) صيغ وهي كما يأتي:

1- فعل الأمر، قوله تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) [العنكبوت: من الآية45]

2- اسم فعل الأمر، كقولك: حي على الصلاة.

3- المصدر النائب عن فعل الأمر، قوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) [محمد: من الآية4].

4- المضارع المقرون بلام الأمر، قوله تعالى: (لتؤمنوا بالله ورسوله) [المجادلة: من الآية 4].

ومن تطبيقاتها في سورة الكوثر: قوله تعالى: (فصل لربك وانحر) وجه الدلالة: "صل" و "إنحر" يتبين مما سبق أن (صل) على وزن فعل الأمر (فع) ؛ لأنه معتل، أما الفعل (إنحر) على وزن فعل الأمر ((فعل)، والأمر عند الأصوليين للوجوب حقيقة ما لم تكن قرينة خلافة((21). وعلى الخلاف بين المفسرين من حيث نزولها أهي مكية أم مدنية، سيختلف معنى الأمر بالصلاة والنحر كما يأتي:

القول الأول: القائلين بأنها مكية:

أن لمعنى "فصل "و "أنحر" عدة معان منها : المعنى الأول: أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام فقال الله لنبيه : صل لربك وحده وأنحر له أي الوجهه لا لغيره، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص. المعنى الثاني: أن معنى أنحر ضع يدك اليمني على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر لمعنى الثالث: أن معناه ارفع يديك عند

نحرك في افتتاح الصلاة (23) فالمعنى الأول (23) هو الأقرب للمعنى الحقيقي للأمر وهو الوجوب، ويدل عليه قول أم المؤمنين عائشة :" فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي ففرضت أربعا، وتركت صلاة السفر على الأول "(24). وكذلك النحر أيضا فهو للوجوب. والمعاني الأخرى معان مجازية لا تصرف عن المعنى الحقيقي إلا بقرينة كقولهم "هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه في التكبير إلى نحره هو المروي عن النبي وعن ابن عباس استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي و أبي الأحوص (25).

القول الثاني: القائلين بأنها مدنية:

أن لمعنى الفصل "و "أنحر "على ما نقله المفسرون القائلون بأنها مدنية من قول أئمة أهل العلم كقتادة والحسن ومجاهد وعكرمة؛ لها عدة معان منها : المعنى الأول : أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدي والضحايا لمعنى الثاني: أنه كان يضحي قبل صلاة العيد فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة. المعنى الثالث : وقيل يعنى به صلاة الغداة في يوم النحر، أي وانحر بعد صلاة الفجر، والأكثر فيما جاء " فصل لربك وانحر" صلاة يوم الأضحى ثم النحر بعد الصلاة(26).فنجد أن الأمر للندب لمن قال أنها مدنية لان المراد بالصلاة هي صلاة العيد والمراد بالنحر هو ذبح البدن (الأضحية) لأن صلاة العيد، وذبح البدن إنما هو سنة مؤكدة عن النبي (27). مناقشة الأقوال مع بيان القول المختار أستدل أصحاب كل قول ـ مكية ومدنية- بأدلة؛ أهمها دليلان: القول الأول: استدل به القائلون بأنها مكية؛ وهو قول ابن عباس : (لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى

هذا المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا؟ ونحن - يعني: أهل الحجيج وأهل السدانة - قال: أنتم خير منه فنزلت: (إن شانئك هو الأنتر) و نزلت: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) إلى قوله: (فلن تجد له نصيرا) [النساء جزء من الآيات:49 - 52]) (28). والقول الثاني: أستدل به القائلون بأنها مدنية؛ وهو قول أنس بن مالك ": قال بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال «أنزلت على أنفا سورة ». فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر)». ثم قال « أتدرون ما الكوثر ». فقلنا الله ورسوله أعلم. قال « فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي) "(29)، وقد ذكر هذا الحديث من المفسرين البغوي والقرطبي وابن كثير وابن عاشور ويمكن الجمع بين الحديثين: أن أنس أنصاري أسلم بعد الهجرة، وقوله (بين أظهرنا)، وقوله « أنزلت على آنفا سورة »أي أنزلت مذ ساعة(30)، فالسورة نزلت في وقت الإغفاءة والحادثة حصلت بالمدينة، ولا تعارض بينها وبين قصة كعب بن الأشرف، عند ذهابه إلى مكة ووصفه النبي بالمنبتر، وزعمه بأنهم خير منه فأنزل الله السورة على رسوله وهي من سور الإعجاز، فقد أخبر الله نبيه بكيد أعدائه، ومبشرا إياه بالكوثر، وأن مبغضه هو الأقطع، والله أعلم. والقول المختار والله اعلم أنها مدنية، بدلالة السياق والعطف في اللغة ف"انحر " عطف على "صل "أي صل صلاة عيد النحر وهذا يقتضي أن تكون السورة مدنية لا مكية وقيل الأمر عام في كل صلاة ونحر(31)، وكذلك بما ثبت في السنة من أحاديث النحر في الحج والأضاحي بعد صلاة العيد.

3- معاني الأمر عند الأصوليين وتطبيقاتها في سورة الكوثر:

ذكر الأصوليون أن الأمر ورد في القران الكريم لأكثر من (25) معنى، ومن أهم هذه المعاني ما يأتي :(الوجوب، والندب، والإرشاد إلى الأحوط، والدعاء والدعاء استدعاؤك ما تحاول ممن هو فوقك-، والتهديد، والتعجيز، والإنذار، والإكرام ، والإهانة، والإنعام... وغيرها)(32)، والذي عليه الأصوليون أن الخطاب بالأمر المطلق عن القرائن يراد به الإيجاب (33). الواجب لغة: يجب" "وجوبا"، و"جبة الزم وثبت، "وجبة": سقط" (34) الفرض لغة: الحز في الشيء. والفرض: ما أوجبه الله تعالى، سمي بذلك لان له معالم وحدودا (35) وليس هناك فرق بين الواجب والفرض، فهما كلمتان مترادفتان عند جمهور الأصوليين (36)، وإما الحنفية فهم يفرقون بين الواجب والفرض تبعا الاختلاف طبيعة دليل التكليف: فالفرض اصطلاحا: "أسم لمقدر شرعا لا يحتمل الزيادة والنقصان، وهو مقطوع به"(37)، أي ما طلب الشارع فعله على وجه الجزم والإلزام، وثبت طلبه بدليل قطعي موجب للعلم لا شبهة فيه؛ أي ثبت بالكتاب أو السنة المتواترة والمستفيضة أو الإجماع، ولا يحتمل لفظه معنى ثان (38) .والواجب اصطلاحا: "لما كان ثابتا بدليل غير موجب للعلم يقينا باعتبار شبهة" (39) أي الطلب بدليل ظني، ولا فرق بين أن يكون الدليل ظني الثبوت والدلالة.

ومن تطبيقاتها في سورة الكوثر:

لا شك أن سورة الكوثر ثبتت بدليل قطعي الثبوت موجب للعلم اعتقادا، لما ثبت فيها من مسائل الغيب من الايمان بالحوض، والشاربين منه - نسأل الله أن يجعلنا ممن يرد حوضه غير ممنوعين ولا مبعدين ، والعمل بلازم هذا الاعتقاد ولكن الثابت من معان المفسرين السابق ذكرها في المسائل السابقة

يتبين أن الوجوب أداء الصلاة ثم النحر) فقد طرأ احتمال التأويل للنص إلى معنيين وهما ما يأتي المعنى الأول: أن المراد بالصلاة صلاة الصبح، ثم نحر الأضاحي للحاج و غيره بعدها. فمن أدى ما أوجبه الله تعالى عليه فقد صح أداءه، إن كان قد صلى صلاة الصبح ثم ذبح هديه أو أضحيته، ومن فعل قبل ذلك فلم يؤد. المعنى الثاني: أن المراد بالصلاة صلاة الصبح للحاج، وصلاة عيد الأضحى لغيرة، فعلى هذا المعنى يكون المراد أن يجب على الحاج الصلاة ثم النحر، وغير الحاج فواجب عليه النحر بعد صلاة العيد ولا تصح منه الأضحية قبلها واستدلا كلاهما بما ثبت مفسرا في السنة النبوية لتطرق الاحتمال لما ثبت في السورة، ومجمل آيات القران بحديث عن البراء بن عازب، قال خطبنا رسول الله يوم النحر بعد الصلاة فقال "من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم" فقام أبو بردة بن نيار، فقال يا رسول الله والله لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فتعجلت وأكلت وأطعمت أهلي وجيراني فقال رسول الله "تلك شاة لحم" قال فإن عندي عناق جذعة هي خير من شاتي لحم فهل تجزي عني قال "نعم ولن تجزي عن أحد بعدك (40). فتبين من السنة النبوية أن الصحابة فهموا أن المراد صلاة الصبح من يوم الاضحى؛ فلما جاء البيان من النبي بأن النحر يكون بعد صلاة العيد، ومن أدي قبل ذلك فلم يضحي وإنما هي شاة لحم وإن وزعها على المسلمين، فعلى هذا يكون القول الثاني هو المختار لما ثبت من قول النبي لأبي بردة يتبين مما سبق أن الأمر بالنحر وإن ثبت بدليل قطعي الثبوت؛ لكنه ظني الدلالة على معناه لاحتمال تأويل الصلاة بصلاة الفجر وليس العيد فلا يجوز لأحد أن يضحي قبل صلاة العيد وعليه اتفاق أئمة المسلمين (41).

4- الأمر للمرة الواحدة أو التكرار عند الأصوليين وتطبيقاتها في سورة الكوثر

أختلف الأصوليون على ثلاثة أقوال وهي كما يأتي: القول الأول: الأصل الذي عند الأصوليين أن صيغة الأمر باعتبار الوضع موضوعة لمطلق الطلب، وليس للمرة أو التكرار إلا بقرينة، واختاره الحنفية، والآمدي، وابن الحاجب، والجويني، والبيضاوي (42). القول الثاني: إن صيغة الأمر تقتضي المرة الواحدة لفظا، وبه قال أبو علي الجبائي وأبو هاشم، وأبو عبد الله البصري (43). القول الثالث: بأنها تدل على التكرار مدة العمر مع الإمكان، وبه قال أبو إسحاق الشيرازي، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وجماعة من المتكلمين، وإنما قيدوه بالإمكان لتخرج أوقات ضروريات الإنسان (44). واحتج الأولون باتفاق أهل العربية على أن الأمر لا دلالة له إلا على الطلب بمجرد الفعل، لأن مدلول الصيغة طلب الامتثال بالقيام بالفعل، والمرة والتكرار خارجان عنه فوجب الامتثال به، ولأنه لا دلالة للصيغة على التكرار إلا بقرينة تفيد وتدل عليه، فإن حصلت القرينة أمتثل بالتكرار، وإلا فلا يتم استدلال المستدلين على التكرار بصورة خاصة اقتضى الشرع أو اللغة أن الأمر فيها يفيد التكرار؛ لأن ذلك خارج عن محل النزاع وليس النزاع إلا في مجرد دلالة الصيغة مع عدم القرينة.

5- الأمر للفور أو التراخي عند الأصوليين وتطبيقاتها في سورة الكوثر

اختلف الأصوليون في اقتضاء الفور أو التراخي على أربعة أقوال نجملها بقولين وهما ما يأتي: القول الأول: أن صيغة الأمر تقتضي طلب الفعل فقط، ولا يدل على الفور أو التراخي إلا بقرينة؛ فيكون لمجرد الطلب فيجوز التأخير على وجه لا يفوت المأمور به، وقال به الحنفية، ونسب إلى الشافعي،

واختاره الرازي والآمدي وابن الحاجب والبيضاوي (45). قال ابن برهان: لم ينقل عن أبي حنيفة والشافعي نص، وإنما فروعهما تدل على ذلك القول الثاني: إنه يقتضي الفور، فيحب الإتيان به في أول أوقات الإمكان للفعل المأمور به، ونسب إلى المالكية والحنابلة وبعض الحنفية والشافعية. وتوقف الجويني في أنه باعتبار اللغة للفور أو التراخي، واحتج من قال بالتكرار بالقول بالفور، واستدل بنفس أدلتهم فيه. واحتج من قال : أن دلالته لا تزيد على مجرد الطلب يفور أو تراخي، لأن هيئة الأمر لا دلالة لها إلا على الطلب، أي على مجرد الفعل فلزم أن تمام مدلول الصيغة طلب الفعل فقط، وكونها دالة على الفور، أو التراخي خارج عن مدلوله، وإنما يفهم ذلك بالقرائن (46).

التطبيقات الأصولية للمرة والتكرار، والفور والتراخي في سورة الكوثر:

ان الامر في سورة الكوثر (فصل، وأنحر) لا يحتمل إلا مجرد الطلب والقرائن هي التي ترجح المرة أو التكرار، والفور أو التراخي وكما يأتي : قول القائلين بأنها مكية: أن الأصل بها مجرد الطلب، ويفهم الفور من القرائن بدليل أنه لا يجوز الصلاة والنحر بعد نزول الآية إلا للملك. ويفهم التكرار مع الامكان عند كل اداء الصلاة أو النحر فيجب أن يكون للم. أما القائلين بأنها مدينة: فأن الأصل بان صيغة الأمر المجرد يراد بها الطلب، وأما الفور أو التراخي، والمرة أو التكرار فيفهمان من القرائن، وهو ما فهمه الصحابة، ومنهم ابو بردة حين سمع امر الليل بالصلاة والنحر فبادر مسرعا إلى ذلك فلما علم بفعل أبي بردة بها صحح له، ولغيره المراد من الآية. أما المبادرة بالاسراع فقد فهم من غير صيغة الأمر، لقوله تعالى " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم" سورة آل عمران: الاية 133 فالمراد من الآية المسارعة بالتوبة، والاستغفار من الذنوب، ولا نزاع في الحث على المسارعة اليه، وقوله تعالى

"إنهم كانوا يسارعون في الخيرات" (سورة الأنبياء: الآية 90) يفهم منه أن الله عز وجل مدح الانبياء والصحابة لأنهم كانوا يسارعون في فعل الطاعات والخيرات (47). فالمختار أن صيغة الأمر المطلق عن القرائن لا يراد منه في الظاهر إلا مجرد الطلب، وأن المرة أو التكرار، والفور أو التراخي يفهم نصا من القرائن.

ثانيا: العام وتطبيقاته في سورة الكوثر:

1- مفهوم العام في اللغة:

من عم الشيء يعم بالضم عموما أي شمل الجماعة يقال عمهم بالعطية (48)

العام اصطلاحا: كل لفظ ينتظم جمعا من الاسماء لفظا أو معنى(49) أو هو اللفظ الواحد الدال على مسميين فصاعدا مطلقا معا(50). أو هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر(51). الفرق بين العموم، والأعم، والعام نفالعام هو اللفظ المتناول، والعموم هو تناول اللفظ لما صلح له؛ فالعموم مصدر والعام اسم فاعل مشتق من هذا المصدر، وهما متغايران؛ ولهذا أنكر على القاضي عبد الجبار، وابن برهان وغيرهما في قولهم "العموم اللفظ المستغرق " فان قيل : ارادوا بالمصدر اسم الفاعل، قلنا: استعماله فيه مجاز ولا ضرورة لارتكابه مع امكان الحقيقة. وفرق القرافي بين الاعم والعام؛ بان الاعم انما يستعمل في المعنى، والعام في اللفظ، فاذا قيل: هذا اعم تبادر الذهن للمعنى، واذا قيل : هذا عام تبادر الذهن للفظ (52).

2- صيغ العام:

أثبت الأصوليون صيغا للعام (53) وهي كما يأتي:

1- لفظ (كل)، (جميع)، (كافة)، (عامة)، (قاطبة) ونحوها مما يدل على الشمول والاستغراق في مثل قوله تعالى: (كل امرئ بما كسب رهين [سورة الطور: الآية 21] وقال تعالى (خلق لكم ما في الأرض جميعا [سورة البقرة: الآية29] وقال تعالى (وقالوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) [سورة التوبة:الاية 36]

2- الجمع المعرف بال الاستغراقية او بالإضافة كقوله تعالى: (قد أفلح المؤمنون [سورة المؤمنون: الآية 1]، وقال تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) [سورة النساء: الآية 11]، وقال تعالى (فخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) سورة التوبة:الاية 103].

3- المفرد المعرف بال الجنسية الاستغراقية أو بالإضافة، مثل قوله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) (سورة البقرة: الآية 275)، فلفظ (البيع) و (الربا) عام في كل انواع البيوع، وأنواع الربا دون حصر بكمية أو عدد؛ ومثله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما [سورة المائدة: الآية 38]، فإن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) [سورة العصر: الآيتان 2 ، 3] ومثال المعرف بالإضافة لفظ امره في قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) (سورة النور: الآية 63] وأما ال التي للعهد فلا تفيد العموم ،كما في قوله تعالى كما أرسلنا إلى فرعون رسولا و فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا)

4- اسماء الشرط : ك(من) (54) الشرطية و (ما) و (اي) و (اين).

5- اسماء الاستفهام ك(من) الاستفهامية و (ما) و (متى(و (ماذا) و (أين).

6- الاسماء الموصولة : مثل (ما) و (من) و (الذين) و (اللاتي) و (اللائي) كما في قوله تعالى : وأحل لكم ما وراء ذلكم) و (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) سورة هود: الآية 6] و ژولله يستجد من في السماوات والأرض [سورة الرعد : اية 10] وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) (سورة النساء: الآية 10] و فواللائي يتسن من المحيض من نسائكم [سورة الطلاق : اية 4]

7- النكرة في سياق النفي (55) او النهي او الشرط : مثال الأول قوله تعالى : (لا إكراه في الدين السورة البقرة: الآية 256] ومثال الثاني قوله تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره } [سورة التوبة: الآية 84] ومثال الثالث قوله تعالى: (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر } [سورة القمر : اية 2] وقوله تعالى : (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا } [سورة الحجرات : الاية 6].

3- صيغ العام تطبيقاتها في سورة الكوثر

(الكوثر) و(شانئك) و (الابتر)؛ ف (الكوثر) و (الابتر) هما من الفاظ العموم لأنهما اتيا على صيغة المفرد المعرف بال الجنسية الاستغراقية؛ لان الكوثر لفظ عام يستغرق جميع افعال الخير ويشمل هذا الخبر النبي وجميع المؤمنين، وكذلك الحال بالنسبة إلى لفظة الأبتر فهو لفظ عام يستغرق ويشمل كل مبغض للنبي في الماضي او في المستقبل فيكون مقطوع الاثر والذكر.

وقد ورد في معنى (الكوثر) معان كثيرة من أهمها أنه نهر في الجنة أعطاه الله لك للنبي وشاهده النبي ليلة الإسراء، وبين معناه للصحابة عن

نزول السورة في المدينة: قال ابن كثير في بيان معنى الكوثر ((عن أنس قال: "بينا رسول الله بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "أنزلت علي آنفا سورة"، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم { إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر } ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي، عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك "(56))(57). فهذا نص من النبي في بيان معنى الكوثر؛ أنه نهر وهو حوض. وعن أنسنه قال لما عرج بالنبي إلى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر"(58) .

أما (الأبتر) فقد ورد من معانيها الفرد ، قال ابن أبي حاتم عن السدي عنه قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل بتر فلان فلما مات ولد النبي قال العاص بن وائل: بتر: والأبتر الفرد"(59). فهو لفظ عام وضع للدلالة على الرجل اذا انقطع نسله من الذكور، بمعنى أنه سينقطع ذكره بعد موته ولا يرفع اسمه. ولفظ (شانئك) لفظ عام وضع للدلالة على العدو جاء بصيغة المفرد المضاف وهو من صيغ العام، قال ابن أبي حاتم: (عن ابن عباس قوله: إن شانئك يقول: عدوك (60) . وعن عطاء: إن شانئك قال: أبو جهل (61) يتضح مما سبق أن (الكوثر) و (شانئك) و (الأبتر الفاظ موضوعة بأصل اللغة للدلالة على العام يحكم على كل ما يقع عليه استغراق العام. فكل خير أعطاه اللمبل للرسول ولامته، وأن كل مبغض وعدو له هو مقطوع ذكره ولا حظ في الدنيا والآخرة. المسألة الثانية: الخطاب للواحد خطاب للكل

لخطاب لغة: مصدر خطب خاطبه، مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع"(62)، وخاطبه مخاطبة، وخطابا: كالمة، وحادثه. أي وجه إليه كلاما، ويقال : خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه. والخطاب: الكلام (63) الخطاب اصطلاحا: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه(64) .أي توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، أو بمعنى الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئا(65). يتضح أن التعريف الاصطلاحي مأخوذ من اللغة، ودلالته عليه دلالة تضمن والتزام. والخطاب إذا كان المخاطب واحدا لا خلاف في تعلق الخطاب به، أما في شمول غيره به أو الأمة؛ ففيه الخلاف، ومنه هل الخطاب للنبي خطاب للأمة؟

أختلف الأصوليون فيه على قولين:

القول الأول: الخطاب للنبي خطاب للأمة بصيغته، ما لم يأت دليل يدل على تخصيص ذلك بالنبي ، وهو قول أبي حنيفة وأحمد بن حنبل (56). واستدلوا: فإذا أمر الله تعالى نبيه بفعل عبادة بلفظ ليس فيه تخصيص، نحو قوله تعالى: {يا أيها المزمل) [سورة المزمل:الاية 1)، و(يا أيها النبي } [سورة الأنفال : الاية 4 6]، أو فعل النبي فعلا قد عرف أنه واجب أو ندب أو مباح، فإن أمته يشاركونه في حكم ذلك الأمر والفعل، حتى يدل دليل على تخصيصه، كقوله تعالى في الواهبة نفسها للنبي خالصة لك من دون المؤمنين [الأحزاب: الاية. وكذلك الحكم إذا توجه على واحد دخل غيره في حكمه، نحو: رجم ماعز (67)، وقطع سارق رداء صفوان (68).

القول الثاني: الخطاب للنبي خطاب لا يعم الأمة بصيغته، والقرائن تبين شمول الامة به، وهو قول الشافعية(69) .فقالوا: يختص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ولمن واجهه بالخطاب، ولا يدخل النبي فيما كان خطابا

للصحابة(70). فالدلالة على أن الصحابة تشارك النبي فيما أمر به وفي أفعاله قوله تعالى: {فلما قضى زيد منها ورا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعائهم إذا قضوا منهن وطرا} [سورة الأحزاب: اية ٣٧] فأخبر أنه زوجه من كانت امرأة من قد تبناه، لكي يقتدي الناس به في ذلك، فلا يمتنعوا من التزويج بنساء من تبنوه، فثبت بهذا أنهم مشاركون له فيما فعله. وكذلك فما اختص به رسول الله ورد بلفظ التخصيص، كقوله تعالى: (خالصة لك)، و نافلة لك، فلو كان منفردا بما يتوجه إليه من الخطاب، لم يكن لتخصيصه فائدة. ولأنه كان يسأل عن المسألة فيجيب عن حال نفسه، مثل سؤال الرجل عن القبلة للصائم، فيجيب عن نفسه. والصحابة كانوا يرجعون إلى أفعال رسول الله فيما يختلف فيه من الأحكام، كاختلافهم في الغسل من التقاء الختانين من غير إنزال، ووجوب الوضوء من المسيس، فلو كان مخصوصا بحكم الشريعة لم يصح رجوعهم إلى فعله، فدل على أن الخطاب له يعم أمته.

ومن تطبقاتها في سورة الكوثر هي : فصل لربك وانحر" هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان هو المخاطب في ظاهر الاية لكنه خطاب للأمة اجمع؛ لأن الصلاة والنحر ليست واجبة على النبي محمد فقط وإنما هي واجبة على الأمة، ولا يوجد أي تخصيص خاص للنبي على ان الصلاة والنحر خاص به.

الإعجاز البلاغي في سورة الكوثر

أولا: المقابلة:

هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو عدة معان متوافقة ، ثم يؤتى بمقابلات لها على الترتيب.

قال الإمام الفخر الرازي: (إن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة (53) ، وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة:

أولها: البخل ، وهو المراد من قوله " يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين " الثاني : ترك الصلاة ، وهو المراد من قوله " الذين هم عن صلاتهم ساهون "

والثالث : المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله " الذين هم يراؤون "

والرابع : المنع من الزكاة ، وهو المراد من قوله " ويمنعون الماعون "

فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة

أ- فذكر في مقابلة البخل قوله " إنا أعطيناك الكوثر " أي (إنا أعطيناك الكثير) ، فأعط أنت الكثير ، ولا تبخل

ب- وذكر في مقابلة " الذين هم عن صلاتهم ساهون " قوله " فصل " أي دم على الصلاة

ج- وذكر في مقابلة " الذين هم يراءون " قوله " لربك " أي ائت بالصلاة لرضا ربك ، لا لمراءاة الناس

د- وذكر في مقابلة " ويمنعون الماعون " قوله " وانحر " ، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي فاعتبر هذه المناسبة العجيبة 54

ثانيا: الوصل والفصل:

قال الشيخ عبد القادر الجرجاني رحمة الله:

(اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة ستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة ، ومما لا يأتي التمام الصواب فيه إلا الأعراب اللص والأقوام - الذين - طبعوا على البلاغة ، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد) 55

بل إن بعض البلغاء سئل عن البلاغة ، فقال : هي معرفة الفصل والوصل والوصل : عطف جملة على أخرى بالواو، وله أسباب بسطت في مظانها من كتب علم المعاني.

أ- والوصل في هذه السورة حاصل في جملة " وانحر " حيث عطفت على جملة " فصل "، وقد اتفقا إنشاء (لفظا ومعنى)

ب- والفصل : ترك ذلك العطف بين الجملتين ، كما في " إن شانئك هو الأبتر " ، حيث فصلت عن سابقتها للاستئناف، لاختلافهما إنشاء وخبرا.

ثالثا: الالتفات:

هو أُسلوب بلاغيّ مستعمل في اللغة العربية .ويعني نقل الكلام من أسلوب مخاطبة إلى آخر بطريقة متعمدة أو عن طريق الخطأ. على سبيل المثال:

التحول من ضمير المتكلم إلى المخاطب أو العكس، أو من أسلوب المخاطب إلى الغائب، وهكذا. ويعتبر القرآن هو أكثر الكتب استخداماً لهذا الأسلوب، حيثُ تم استخدام الالتفات في القرآن إلى ما يُقارب 900 مرة.

ومنها في سورة الكوثر الالتفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، في قوله: "إنّا أعطيناك الكوثر، فصلِّ لربِك وانحرْ"، ولم يقل "صلِّ لنا".

رابعا: السجع:

السجع: أحد أنواع المحسنات اللفظية المستخدمة في علم البلاغة في اللغة العربية، وهو توافق الفاصلتينِ في فِقْرتين أو أكثر في الحرف الأخير، أو هو توافق أواخر فواصل الجمل (الكلمة الأخيرة في الفقرة) ، مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ربّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتي، وَأجِبْ دَعْوَتي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي".

وهو ما حدث في سورة الكوثر حيث انتهت آياتها كلها بحرف الراء

خامسا: الأسلوب الحكيم :

قال العلامة ابن عاشور : (لما كان وصف الأبتر في الأية جيء به لمحاكاة قول القائل: محمد أبتر، إبطالا لقوله ذلك ، وكان عرفهم في وصف الأبتر أنه الذي لا عقب له ، تعين أن يكون هذا الإبطال ضربا من الأسلوب الحكيم وهو تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أن الأحق غير ما عناه كلامه ، كقوله تعالى " يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت الناس والحج " (189 / البقرة)، وذلك بصرف مراد القائل عن

الأبتر الذي هو عديم الابن الذكر إلى ما هو أجدر بالاعتبار ، وهو الناقص حظ الخير ، أي ليس ينقص للمرء أنه لا ولد له ، لأن ذلك لا يعود على المرء بنقص في صفاته وخلائقه وعقله)

سادسا: التغليب :

في قوله ـ سبحانه . " فصل " تغليب حيث إنه أمر للمفرد المذكر، لكنه شامل ـ هنا ـ للذكر والأنثى، ففيه تغليب للذكر ، كقوله " يا أيها الذين آمنوا ... " أي : ويا أيتها اللاتي آمنت.

وفي الآية أمر بالنحر دون الذبح ، مع أن الضأن أفضل في الضحايا ، وهي لا تنحر ، وهذا تغليب للفظ النحر، وهو الذي روعي في تسمية يوم الأضحي : يوم النحر، وليشمل الضحايا في البدن، والهدايا في الحج، أو ليشمل الهدايا التي غطل إرسالها في يوم الحديبية ، ورشح إيثار النحر رغئ فاصلة الراء في السورة.

سابعا: الإيجاز والإطناب والمساواة:

قد يعجب قارئ الكريم أن يجتمع إيجاز وإطناب ومساواة في السورة نفسها ، لكن هذا العجب سرعان ما يزول إذا ما علمنا أن لكل موضعه الذي لا يطغي به على صاحبه ، تعال فانظر:

1- إن عطف " وانحر " على " فصل " يقتضي تقدير متعلق مماثل لمتعلق " فصل لربك " (أي الجار والمجرور) لدلالة ما قبله عليه ، والتقدير :

وانحر له ، كما في قوله تعالى " أسمع بهم وأبصر " (38 / مريم عليها السلام)، وهو - بلاغية - من إيجاز الحذف

2- وكذلك في " فصل " و " انحر " إذ معناهما : فم على الصلاة ، ودم على النحر.

3- وكما تضمنت السورة الإيجاز المذكور تضمنت المساواة أيضا في ألفاظها ومعانيها في الجملة ، قال صاحب (الأساس في التفسير): (إن معانيها بقدر كلماتها ، بل كلماتها وحدها هي التي تسع معانيها)

4- وفي السورة إطناب 65، في تكرير كاف الخطاب (ثلاث مرات) ، لقصد تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بخطابه .

5- ومن أنواع الإطناب . كما قال الإمام السيوطي: وضع الظاهر موضع المضمر، وهذا متحقق في قوله " لربك " بدل : لنا ، (على ما يقتضيه السياق ظاهرة) وذلك يوجب تعظيم الرب الخالق المربي - سبحانه وتعالى.

ثامنا: الخبر والإنشاء:

اشتملت هذه السورة القصيرة على نوعي الكلام: (الخبر والإنشاء) حيث تضمنت خبرين وإنشاء ين:

استهلت بخبر، واختتمت بخبر.

وضمت الآية الوسطى إنشاءين (أمرين).

تاسعا: التوكيد:

1- صدر - سبحانه - السورة بحرف التوكيد الجاري مجرى القسم " إنا " لأن أصلها : إن ونا (ضمير المتكلم)، للاهتمام بالخبر والإشعار بأنه شيء عظيم ، كما في قوله تعالى " إنا أنزلناه في ليلة القدر "

2- الإخبار بالجملة الفعلية " أعطيناك " وهو طريق من طرق التأكيد والتقوي ، لأن بناء الفعل على الاسم يفيد الإسناد مرتين

3- صدر الجملة " إن شانئك " بحرف التوكيد ، (وفيه أن هذا الشانئ لم يتوجه بقيله إلى الصدق ، ولم يقصد به الإفصاح عن الحق ولم ينطق إلا عن الشنآن الذي هو قريب البغي والحسد، وعن البغضاء التي هي نتيجة الغيظ والحرد، ولذلك وسمه بما ينبئ عن المقت الأشد)

4- وإذا جعلنا " هو " مبتدأ ، فإنه يفيد التوكيد ، إذ يصير الإسناد مرتين ، ويتأتى ذلك من كون الجملة أصبحت جملة كبرى مركبة

عاشرا: النزاهة:

النزاهة : فن مختص غالبا بالهجاء ، (وإن وقع نادرة في غيره) ، وهو براءة ألفاظ الهجاء وغيره من الفحش ، حتى يكون الهجاء كما قال أبو عمرو بن العلاء : الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها ، وهذا حاصل في الأية الأخيرة من السورة.

حادي عشر: الفرائد :

الفرائد : وهي الإتيان بلفظة فريدة لا يقوم غيرها مقامها وهذا يشمل مفردات السورة، لا سيما : (الكوثر) و (الأبتر).

ثاني عشر: الإفتنان :

الإفتنان : وهو الإتيان في كلام بفنين مختلفين: وقد جمعت السورة بين عز النبي صل الله عليه وسلم وذل الشانئ.

ثالث عشر: براعة الاستهلال:

في السورة براعة استهلال في " إنا أعطيناك الكوثر " ويسمى حسن الابتداء ، حيث حملت الآية معنى مناسبة للمقام ، يحمل البشارة، ويجذب السامع إلى الإصغاء ؛ لأنه أول ما يقرع السمع

رابع عشر: براعة المقطع أو حسن الختام :

في الآية الأخيرة تحققت براعة المقطع بحسن الختام ، وهو ما يعرفه البلاغيون بأن يجعل المتكلم أخر كلامه حسن السباك ، صحيح المعنى ، مشعرة بالتمام، حتى تتحقق براعة المقطع بحسن الختام ، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع ، ويلاحظ أن "الأبتر " من أحسن المقاطع لدلالة الخاتمة ، لما في البتر من القطع والانتهاء .

خامس عشر: الطباق:

في السورة طباق (تضاد) بين الكوثر و الأبتر فالكوثر (لغة) الخير الكثير، والأبتر : المنقطع عن كل خير .

سادس عشر: الاستخدام :

قال العلامة ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: (وفي الآية محسن الاستخدام التقديري ، لأن سوق الإبطال بطريق القصر في قوله " هو الأبتر " نفي وصف الأبتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن بمعنى غير المعنى الذي عناه شانئه ، فهو استخدام ينشأ من صيغة القصر، بناء على أن ليس الاستخدام منحصرة في استعمال الضمير في غير معنى معاده، على ما حققه العلامة سالم أبو حاجب، وجعله وجهاً في واو العطف من قوله تعالى " وجاء ربك والملك " (22 / الفجر)؛ لأن العطف بمعنى إعادة العامل ، فكأنه قال : وجاء الملك، وهو مجيء مغاير لمعنى مجيء الله تعالى .

سابع عشر: الإبهام للتحقير:

قال الإمام السيوطي في كتابه: (معترك الأقران في إعجاز القرآن) مبينة أسباب الإبهام في القرآن الكريم : (السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو " ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربي " (22 / النور) " والذي جاء بالصدق وصدق به " (33 / الزمر)" إذ يقول لصاحبه " (40 / التوبة) ، والمراد به الصديق في الكل.

السابع : تحقيره بالوصف الناقص نحو " إن شانئك هو الأبتر ")

ثامن عشر: التدلي:

هو تقديم الأهم فالأهم وفي الآية الثانية: تقديم الصلاة على النحر.

تاسع عشر: أنواع الأفعال:

لم يأت في السورة من الأفعال إلا ثلاثة: "أعطى"-"صلى"-"نحر". لكنها على قلتها مثلت من المقولات الصرفية والتركيبية عددا كبيرا:

- الفعل الصحيح: نحر.

- الفعل المعتل: أعطى.

- الفعل المضعف: صلى.

- الفعل المجرد: نحر.

- الفعل المزيد: أعطى.

- الفعل اللازم: صلى.

- الفعل المتعدي إلى مفعول واحد: نحر.

- الفعل المتعدي إلى أكثر من مفعول: أعطى.

العشرون: أنواع الضمائر:

أ- الضمير عند علماء العربية إما بارز ، وإما مستتر، فمن بارز الضمائر في السورة ما ظهر في فعل أعطيناك" ومن مستترها كما في فعل أصل "أو انحر".

ب- وهو إما متصل وإما منفصل : ولك في جملة أعطيناك" مثال على المتصل من الضمائر، ولك في جملة " هو الأبتر" مثال آخر على الضمير المنفصل.

ج- والضمائر إما للمتكلم أو للمخاطب أو للغائب ، فضمير المتكلم في" أعطينا"، وضمير المخاطب في" أعطيناك" و "ربك" و "شانئك" صريحا، و في "صل" و "انحرامقدرا، وضمير الغائب في "هو" صريحا، وفي شانئ مقدرا، فتأمل هذه التناسبات اللطيفة.

ء- وفي السورة ضمير المفرد وضمير الجماعة. وقد اجتمعا في كلمة أعطيناك".

هـ - الضمائر باعتبار محلها من الإعراب:

جاءت الضمائر في السورة متنوعة بحسب المحل الإعرابي:

- ضمير في محل رفع: (أعطيناك) الضمير الأول فيها فاعل مرفوع.

- ضمير في محل نصب: (أعطيناك) الضمير الثاني فيها مفعول به منصوب.

- ضمير في محل جر: (ربك) الكاف فيها مضاف إليه مجرور.

و – ومن لطائف السورة أن الكلمات الدالة على الرب عز وجل ثلاث هي:

- اسم إن

- فاعل أعطى.

- الرب.

وجاءت على التوالي:

- منصوب .

- مرفوع

- مجرور

وعلى نفس الترتيب الإعرابي جاءت الكلمات التي تدل على الرسول صلى الله عليه وسلم.

"كاف" أعطيناك منصوبة

اصل "الضمير" المستتر مرفوع.

كاف" ربك" مجرور.

الحادي والعشرون: أنواع الجمل:

(لأهل اللغة تقسيمات كثيرة لأنواع الجملة في اللسان العربي، لكن المثير للدهشة أن سورة الكوثر الكريمة قادرة على إعطاء مثال عن كل نوع ، وتزداد الدهشة أكثر عندما ندخل في الحسبان أن عدد جمل السورة أربعة فقط. ولكنها "الكوثر": اسما ومسمى)

يقسم العلماء الجمل إلى :

أ - خبرية وإنشائية، وإذا نظرنا إلى السورة نجد " إنا أعطيناك الكوثر " و " إن شانئك هو الأبتر " جملتين خبريتين. و " فصل لربك" و" انحر " جملتين إنشائيتين طلبيتين .

ب- اسمية وفعلية ، كالأمثلة السابقة .

ج- وفي علم البيان (باب الوصل والفصل) يقسم البلاغيون الجملة إلى جملة فيها وصل أوفصل . فجملة "انحر" معطوفة بالواو على جارتها " فصل لك." وهذا الوصل. وهي منقطعة عن الجملة اللاحقة إن شانئك هو الأبتر. وهذا الفصل.

ء- كبرى وصغرى . فالكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو: زيد قام أبوه، و زيد أبوه قائم، والصغرى هي المبنية على المبتدأ نحو : زيد مسافر .

ولك أن تعجب من سورة الكوثر فهي لم تقدم مثالا عن كل نوع فقط، بل قدمت مثالا ثالثا لجملة تحتمل النوعين بحسب وجهة النظر:

- " إنا أعطيناك الكوثر " جملة كبرى ، لأن : " أعطيناك الكوثر ". جملة صغيرة في محل رفع خبر للجملة الأصلية.

- "فصل لربك" جملة صغرى فيها إسناد واحد.

أما جملة "إنا شانئك هو الأبتر" فهي من المرونة بحيث تضعها حيث شئت: فلو اعتبرت "هو" ضمير فصل و"الأبتر" خبرا عن الشانئ فالجملة صغرى لا محالة، ولو اعتبرت "هو" مبتدأ و" الأبتر" خبره ومجموعهما خبرا للشانئ فالجملة كبرى.

الحادي والعشرون: توافق الكلمات وحروف الآيات عدديا :

من المعلوم أن عدد كلمات السورة (إجمالا) عشر كلمات ، غير أن مما يثير العجب أن كل آية منها تشتمل على عشر أحرف فقط(إذا حذفنا المكرر):

فالأولى تشتمل على الحروف الآتية : ا، ن، ع، ط، ى، ك، ل، و، ث، ر.

والثانية على : ف، ص، ل، ر، ب، ك، و، ا، ن، ح.

أما الثالثة فعلى : ا، ن، ش، ك، هـ، و، ل، ب، ت، ر

ولعل من المستغرب أن عدد الحروف التي لم تستعمل إلا مرة واحدة عشرة أيضا وهي: ع، ط، ي، ث، ف، ص، ح، ش، هـ، ت.

لا يمكنُ أن يكونَ دقيقاً أن نقولَ : إن سورةَ الكوثر ضربٌ من النثر ، كما لا يمكننا أن نقول بأنها لونٌ من الشعر ، فهي قد جمعت بين أن تكون نثراً فنياً ، وأن تكون شعراً !! أو أن تكون شيئاً ثالثاً يجمع بين الشعر والنثر وما هو بنثرٍ خالص ، ولا شعرٍ خالص ،،،

وبيانُ ذلك بإيجاز : إن السورة المباركة تتألفُ من ثلاث آيات ، الآيةُ الأولى منها على وزنِ أحد البحورِ الشعرية وهو بحر الخبب ، أو المحدث ، أو المتدارك وتفعيلاتُه هي :

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

وقد تصبح :

فعلن فعلن فعلن فعلن

فقوله تعالى : إنا أعطينك الكوثر ، على وزن ومقاس ،،،

فعلن فعلن فعلن فعلن !!

أما الآيتنان الثانية والثالثة فليستا على وزن ومقاس أي بحر من البحور ،،،

إذن السورةُ المباركة ليست شعراً ، لأن الشعر يتألف على الأقل من شطرين موزونين ، وهنا شطر واحد ، كما إنها ليست نثراً ، لأنها قد احتوت على ما يمكن أن يكون شطراً موزوناً لبيت من الشعر !!!

ولذا فإنَّ الدكتور طه حسين كان يصنف الكلام الفني إلى ثلاثة أصناف: شعرٍ ، ونثرٍ ، وقرآن !!!

الإعجاز النفسي في سورة الكوثر

أولا: الإرشاد النفسي:

الإرشاد النفسي ضرورة من أجل إيجاد الفرد السوي، وأن الأخلاق القويمة هي أساس السلوك القويم، وأن كل النظريات تسعى نحو شيء واحد في الواقع، وكل طرق الإرشاد التي ترتبط بها تؤدي إلى نفس الهدف وهو تحقيق الذات، والقرآن كله ـ ومنه سورة الكوثر ـ جاء لتحقيق ذات الإنسان، فالإنسان لا يكون موجودا بكامل إنسانيته إلا إذا رضع لبان التوحيد، واتبع منهج الحق. انظر إلى ضمير المخاطب الكاف في : (أعطيناك، لربك، شانئك) والذي تكرر في كل آية، تجد أن الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا تأكيد للكينونة المحمدية وتثبيت لشخصيته صلى الله عليه وسلم، وأنه على صراط مستقيم.

ثانيا: التوافق النفسي:

وهو عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة ـ الطبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث التوازن بين الفرد وبيئته، وهذه السورة قامت بهذا خير قيام، فأشبعت مطالب النمو النفسي السوي، فالصلاة نمو للروح، والنحر ـ ويراد به الإطعام ـ نمو للبدن، وذكرنا أن من أهم الشروط التي تحقق التوافق النفسي أن يتحقق إشباع دوافع السلوك وحاجات الفرد، وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد أشبعت دوافع سلوكه في هذه السورة، فهو يبتغي رضاء الله وقد تحقق، ويطلب أقصى مناه في الجنة وقد تحقق بالكوثر.

ثالثا: الغرائز:

وهي من فطرة الإنسان، ومن الغرائز الفردية: غريزة البحث عن الطعام، وغريزة التملك، وغريزة الاستغاثة، وغريزة الهرب، وغريزة النفور، وقد عالجت السورة مطالب هذه الغرائز، فالكوثر يلبي غريزة الطعام والتملك، ومعية الله في (إنا) تهذب باقي الغرائز السلبية في النفس الإنسانية.

ومن الغرائز الاجتماعية: الغريزة الجنسية، وغريزة الوالدية، والكوثر يلبي هاتين الغريزتين، لأنه العطاء الكثير في الدنيا والآخرة وهناك غريزة السيطرة، وغريزة المقاتلة، وهذه كلها غرائز بهيمية حيوانية تتجلى في سلوك أهل الجاهلية أمثال العاص بن وائل وغيره من المشركين، وقد هذبها الله تعالى للمؤمنين عندما جعل هدف القتال والسيطرة إعلاء كلمته سبحانه.

وهناك غريزة الخنوع وانفعالها الشعور بالنقص وهي تتصل اتصالا عكسيا بغريزة السيطرة، ونعتقد أن المشركين بعد نزول هذه السورة بما فيها من البشري العظيمة بالكوثر خنعوا أذلاء أمام دعوة الله، ولا سيما أن الله وصف الشانئ بأنه هو الأبتر.

وهناك غريزة التجمع، وكفى بمعية الله مع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتنفي عنه الشعور بالوحدة.

رابعا: الحاجة:

سبق ذكر أهم الحاجات التي تسبب التوافق النفسي: وهي: الحاجة إلى الحب والمحبة، والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى تأكيد الذات، وعطاء الكوثر يؤكد تلبية هذه الحاجات، فقد شعر محمد صلى الله عليه وسلم بمحبة الله له،

إذ أعطاه ما لم يعط أحدا من العالمين، وشعر بالأمن، لأن الله معه، وسيبقي أثر دعوته، ويستأصل عدوه، وشعر بذاته وكينونته عبدا لله وسيدا للبشر طالما أن الله آثره بالكوثر.

خامسا: الدوافع:

ومن أهم الدوافع: الدافع الجنسي، ودافع الوالدية، ودافع السيطرة، ودافع التملك، وعطاء الكوثر يلبي هذه الدوافع جميعا، فالرسول هو كالأب لأمته، وقد أعطاه الله من نعم الأزواج والأولاد والملك في الدنيا والأخرة ما يجعله أفضل إنسان إيجابي في الوجود كله وأما دافع المقاتلة والميل إلى العدوان، فقد هذبه الله تعالى عند نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتكفل هو بالدفاع عنه، قال تعالى: (والله يعصمك من الناس) (المائدة: من الآية67)، وإنما كان قتاله دفاعا عن الدين، وتبليغا له، فهو جهاد مبرور لا إثم فيه ولا عدوان.

سادسا: حيل الدفاع النفسي:

ومن حيل الدفاع النفسي: الإسقاط، وهو أن ينسب الفرد ما في نفسه من عيوب وصفات غير مرغوبة إلى غيره من الناس ويلصقها بهم، وهذا يتجلى في موقف أهل الجاهلية ومنهم الشانئ الذي يرمي محمدا صلى الله عليه وسلم بما فيه هو، ولذلك قال تعالى: (إن شانئك هو الأبتر)، فليس من يرفع اسمه بالآذان خمس مرات في الكرة الأرضية بأبتر، وإنما الأبتر هو عدوه، والذكر للفتى عمر ثان كما قال المتنبي (30).

ذكر الفتى عمره عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

سابعا: أعراض الاضطرابات النفسية:

وهي: القلق، والاكتئاب، والتوتر والفزع والتبلد، ومعية الله وعطاؤه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم يبددان كل أعراض الاضطرابات النفسية، ولم يكن النبي محمد صلى الله عليه وسلم مضطربا أبدا، بل هو سيد الأسوياء والعقلاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (والقلم وما يشطرون، ما أنت بنعمة ربك مجنون) (القلم:1-2)، وإنما نحن هنا نستنبط من آيات كتاب الله منهجا نفسيا معجزا لعلاج أعراض الاضطرابات النفسية، ومعلوم أن كتاب الله لا تنقضي عجائبه.

ثامنا: الإجراءات الوقائية النفسية

ومنها: ضمان وجود علاقة متينة مع الوالدين، والتوجيه السليم والمساندة، وسيادة جو مشبع بالحب، والمساندة الانفعالية في مواجهة المواقف الأليمة، والسورة قد حققت هذا خير تحقيق، فكانت رعاية الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خيرا من رعاية والديه، وكان حب الله له أكبر مساند له، قال تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)(الطور: من الآية48). وكان نزول سورة الكوثر أكبر عملية مساندة له في وجه أعدائه، ولذلك تلتها مباشرة سورة الكافرون لتؤكد ثبات النبي على منهج الحق، وعدم انثنائه أمام عروض الكافرين وإغراءاتهم أو تهديداتهم.

تاسعا: أسباب الأمراض النفسية:

وهي نوعان:

الأسباب الأصلية أو المهيئة، وهي التي تمهد لحدوث المرض، وقد وقي الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم منها، وهناك الأسباب المساعدة والمرسبة، وهي الأسباب والأحداث الأخيرة السابقة للمرض النفسي مباشرة والتي تعجل ظهوره، وقد وقاه منها أيضا بعونه وتوفيقه، فالأمراض النفسية لا تعتري الأنبياء، لأن الله خلقهم أحسن البشر، وأيدهم غاية التأييد، وحاشا لهم أن يصابوا بها.

عاشرا: العلاج الديني

أنواع العلاج النفسي كثيرة، منها العلاج الديني، وهو علاج يفيد بما فيه من إيمان وتوبة تمحو الذكريات السيئة، وذكر الله هو غذاء روحي مطمئن ومهدئ يبعد الوسواس والقهر، والصلاة لله أكبر أسباب الراحة النفسية، ولذلك أمره الله بها في سورة الكوثر، وكان عليه السلام يقول: (يا بلال! أرحنا بالصلاة) (31).

أحد عشر: مشاركة الآخرين:

مشاركة الآخرين بأفراحك وأتراحك تجعلك في صحة نفسية جيدة، وكان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان ودائم التبسم، يفرحه ما يفرح أصحابه صلى الله عليه وسلم، ويحزنه ما يحزنهم، وكان أصحابه يبادلونه نفس الشعور، وكان الله معهم جميعا، يعلمهم ويربيهم ويزكيهم في كل مواقف الحياة، قال تعالى: (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) (التوبة: من الآية26)، ولم تكن سورة الكوثر إلا تعبير ومواساة من الله لنبيه أمام قوم قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة.

اثنا عشر: التشجيع:

التشجيع من أهم عوامل بناء الإنسان السوي، وسورة الكوثر خير مشجع للنبي صلى الله عليه وسلم ليواصل دعوته، ولا يعبأ بأقاويل أعدائه، طالما أن الله أعطاه الكوثر من جهة، وبتر عدوه من جهة أخرى، فما عليه والمر كذلك إلا بالمضاء والعطاء، فهو يصلي ليقيم العلاقة المتميزة المتواصلة بينه وبين ربه، وينحر ليقيم العلاقة الحسنة بينه وبين الناس.

حقا لقد كانت سورة الكوثر شاملة لأهم المعلومات النفسية التربوية التي تنتج إنسانا قويما، وتربية قويمة، وما كنا لنهتدي لهذه الفوائد التي فيها لو لم تكن من عنده تعالى، فسبحان من جمع في كتابه أسس العلوم، ووضع في سوره اسرار ما كان وما يكون إلى يوم الدين.

الثالث عشر: سورة الكوثر وعلاج أهم اسباب الامراض النفسية:

1- قضت على الحزن والكآبة بالبشارة بالكوثر.

2- المعطي هو الله تعالى، و عطاء الله لا ينفد أبدا، مما يجعل العطاء فوق الأحلام، فلن يحرم نبيه من شيء أبدا.

3- العطاء متعدد فهو كوثر، ومنه نهر الكوثر في الآخرة، مما يلقي في نفس النبي الفرح والسرور.

4- العطاء متحقق، لأنه وعد من الله، مما يدفع الشك والهواجس.

5- واست السورة الرسول عليه الصلاة والسلام بأولاده، فخففت عنه، فهو أبو أمته، روى البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، أن رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - لما نزل بغدير خم، أذ بيد علي، فقال: (ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟). قالوا: بلى. قال: (ألم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟) قالوا: بلى. قال: (اللهم من كنت مولاه ف علي مولاه، اللهم وال من والاه. وعاد من عاداه). فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئا لك يا ابن أبي طالب ! أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) (32).

6- دفعته إلى الاستمرار في السلوك الإيجابي في حياته أمرته بتعميق الصلة بالله ودوامها من خلال الأمر بالصلاة.

7- الصلاة (لربك) فهو مولاك وحليفك ونصيرك، والكافرون لا مولى لهم.

8- والصلاة فيها تربية وطأنينة وسمو وإخلاص.

9- تعميق الصلة مع الناس، من خلال نحر الجزور وإطعامهم.

10- نحر الجزور وهي الإبل . وتعد أنفس أموال العرب - إظهار لنعم الله تعالى، وشكر لها. 11- وفي نحر الجزور تبديد لمشاعر الخوف من الفقر، فمن يعبد الكريم لا يخشى الفقر أبدا.

12- ذكر الشانئ بصفته لا باسمه، وفي هذا استخفاف به وبمن هم على شاكلته، مما يعزز ثقة النبي بدعوته.

13- تحقير الشانئ وتبكيته بوصفه الأبتر يبعث في النفس الراحة والاطمئنان من شره ومن شر أمثاله.

14- في الآية تصحيح لمفهوم البقاء، فالبقاء ليس للأقوى،ولا لمن يخلف، ولكن للأصلح، فمحمد هو الباقي أثره الطيب ولو لم يعش له ذكر من أولاده،

وأعداؤه هم المقطوعون ولو كانت بيدهم زينة الحياة الدنيا، وهذا يبعث على السرور بالقضاء، ويدفع إلى البحث عن المعرفة الحقيقية للقيم الاجتماعية.

15- دفعت عنه كل مشاعر الضعف وهواجس الخوف والحزن.

الاعجاز العددي في سورة الكوثر

مَعَ مَوقِعِها :

تَقعُ هَذِهِ السُّورةُ المباركةُ في الجزءِ رَقم ٣٠ ، في الحِزب رَقم ٦٠ ، في نِصفِ الحزبِ رَقم ١٢٠ ، في رُبعِ الحزبِ ٢٤٠ ، وكُلُّ هَذِهِ الأعدادِ مِن مُضاعَفاتِ الرَّقم ٣ .

كَما أنَّ رَقمَها التَّسلسُليّ بَينَ سُورِ القرآنِ الكريمِ ١٠٨(*) ، وهِيَ سُورَةٌ مَكيَّةٌ وعَدَدُها التَّسلسُليُّ بَينَ السُّورِ المكيَّةِ ٨١ ، و مَن يَنظُر في فِهرسِ المصحَفِ الشَّريفِ ــ المتداول في المشرق ــ يَجِد أنَّ عَددَها التَّسلسُليَّ بَينَ آخِرِ مَجمُوعةٍ مِن مَجمُوعاتِ السُّورِ المَكيَّةِ ٩ ، وعَدَدُ هَذِهِ المجمُوعاتِ ١٢ ، وهَذِهِ الأعدادُ الأخيرةُ كلها أيضَا مِن مُضاعفاتِ الرَّقم ٣ .

أمَّا مَوقِعُها بينَ آياتِ الكتابِ الكريمِ فَهُوَ إنَّ مجموعَ آياتِ القُرآنِ الكريمِ التي تَسبقُها ٦٢٠٤ ، ومجموعُ آياتِهِ إلى نهايةِ آيتِها الأخيرةِ ٦٢٠٧ ، وهَذانِ العَدَدَانِ مِن مُضاعفاتِ الرَّقمِ ٣ كذلك .

والسُّورَةُ المباركةُ هِيَ أقصَرُ سُورَةٍ في القُرآنِ الكريمِ ، فيكُونُ عَدَدُهَا التَّرتيبيُّ بينَ سُوَرِهِ الكريماتِ بحسبِ الطُّولِ ١١٤ ، وهُوَ مِن مُضاعَفاتِ الـ (٣) .

فَهذِهِ عشرُ حقائقَ رَقميَّةٍ ثُلاثيَّة ..

حقائق أخرى :

الأولى : تسلسلها بين السور التي تسلسلاتها ٣ أو من مضاعفات الـ ٣ ٣٦.

الثانية : تسلسلها بين السور التي عدد آياتها ٣ أو من مضاعفات الـ ٣ ٣٦.

الثالثة : تسلسلها بين السور التي عددها التسلسلي زوجي ٥٤

الرابعة : تسلسلها بين السور التي عدد آياتها فردي ٥١

وهي ـ كلُّها ـ من مضاعفات الرقم ٣

تتألّفُ السُّورَةُ المباركةُ ـ كأيّ سُورَةٍ أخرى ـ مِن : آياتٍ ، وجُمَلٍ ، وكلماتٍ ، وأجزاءٍ ، و مَقاطعَ صَوتيَّةٍ ، وحُرُوفٍ ، وعَلاماتٍ ، و نِقاطٍ ولا تَتَألّفُ من شيءٍ آخرَ بالبَداهة . و سَنَجدُ بأنَّ كُلَّ هَذِهِ الأشياءِ المذكورةِ مُنظَّمةٌ على وفقِ الرَّقمِ ٣ ، فانَّ النتائجَ المحصَّلةَ إمَّا أن تكونَ ٣ أو مِن مُضاعَفاتِها ـ ولا حَاجةَ بِنا إلى أن نُشيرَ في كُلِّ مَرَّةٍ إلى ذلكَ ـ و إليكَ بَعضاً مِن تِلكَ النَّتائجِ :

ولكِن عَليكَ أن تَعلمَ قَبلَ ذلكَ بأنَّ مَنهجَنا في عَدِّ الحرُوفِ مَبنيٌّ ـ في الأسَاسِ ـ عَلى الرَّسمِ العُثمانيِّ للمصَاحفِ المتَداولةِ لا عَلى اللفظِ كما نَسمَعُهُ أو نَقرؤه ، ولا عَلى قَواعدِ الرَّسمِ التي تَسَالمَ عَليها العُلماءُ فيما بَعد ، فَما عَدّهُ المصحفُ الإمامُ حَرفاً عَدَدناهُ ، ومَا أهملَ أهملناهُ ولَو كانَ مَنطوقاً كما في كلمةِ (أعطيناكَ) فإنَّها دُوّنَت هَكذا بِلا ألِفٍ بَعدَ النُّونِ في المصَاحفِ الأُولى ثم أُضيفَت ألِفٌ صَغيرةٌ بَعدَ ذلكَ فَوقَ النُّونِ للدلالةِ عَلى الألِفِ المتروكةِ في المصَاحفِ الأمّ ، ولأَجلِ ذلكَ عَدَدنا هَذِهِ الألِفَ مَعَ العَلاماتِ لا معَ الحرُوفِ لِكونِها مِنَ الزِّياداتِ التي وَرَدَت عَلى المصَاحِفِ بَعدَ زَمنٍ مِنَ التَّدوينِ الأوَّلِ الذي كانَت أُصولُهُ عَلى عَهدِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وآلِه وسلم .

أولاً : مع آياتها :.

- عدد آياتها ٣ .

إنا أعطيناك الكوثر (١)

فصل لربك وانحر (٢)

إن شانئك هو الأبتر (٣)

- عدد حروف آيتها الأولى ١٥ ، أي ٣×٥

إنا أعطيناك الكوثر

- عدد حروف آيتها الثانية ١٢ ، أي ٣×٤

فصل لربك وانحر

- عدد حروف آيتها الثالثة ١٥ ، أي ٣×٥

إن شانئك هو الأبتر

ثانياً : مع جملها :.

- عدد جملها مع الروابط الواقعة بينها ٦ ، أي ٣×٢

إنا أعطيناك الكوثر

فـ

صل لربك

و

انحر

إن شانئك هو الأبتر

*****

وإذا أَرَدنا أن نَعدَّ الجملَ البَسِيطةَ المتضَمَّنةَ في الجَملِ الأصليَّةِ المركَّبةِ يَكُونُ مجموعُ الجَملِ ٦ مِن دُونِ الرَّوابط ، لأنَّ جُملتَي "أعطيناك الكوثر"و"هو الأبتر" جُملتانِ ضِمنيتانِ في الجملتَينِ الأصليَّتينِ "إنا أعطيناك الكوثر"و" إن شانئك هو الأبتر" .. هَذا مَا يُقرِرُهُ عِلمُ النَّحو .

ثالثاً :مع كلماتها :.

- عدد كلماتها _ نحوياً _ ١٨ ، أي ٣×٦

إن * نا * أعطي * نا * ك * الكوثر

ف * صل * ل * رب * ك * و * انحر

إن * شانئ * ك * هو * الأبتر

*****

ونجد أن هذه الكلمات تنقسم إلى نوعين مختلفين :

القسم الأول : الكلمات المتصلة ، ككلمة (رب) فإنها متصلة مع الكاف واللام ، وكلمة (شانئ) فإنها متصلة بالكاف ، وهكذا ...

القسم الثاني : الكلمات المنفصلة ، وهي الكلمات التي لم تتصل أو لم تتصل بها كلمة أخرى ، ككلمة (الكوثر) و (الأبتر) ، وهكذا ...

ونلاحظ أن عدد الكلمات المتصلة ١٢ ، أي ٣ × ٤

وهذه هي الكلمات الـ١٢ (إن ، نا ، أعطي ، ن ، ك ، ف ، صل ، ل ، رب ، ك ، شانئ ، ك) .

وعدد حروفها ٢١ ، أي هو من مضاعفات الرقم ٣ ' ويساوي ٣ × ٧

كما نلاحظ أن عدد كلماتها المنفصلة ٦ أي ٣ × ٢

وهذه هي الكلمات الـ ٦(الكوثر ، و ، انحر ، إن ، هو ، الأبتر) .

وعدد حروفها ٢١ ، أي ٣ × ٧

- الكَلِمَةُ _ النَّحويَّةُ _ الوَحِيدةُ التي تكرَّرَت ٣ مَرَّاتٍ هِيَ الكافُ وهيَ حَرفُ خِطابٍ مُتوجِّهٍ إلى قَداسةِ النبيّ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَليهِ وآلِه ! ! !

ك * ك * ك

إذَا تَكلَّمنا عَن (الكلماتِ) في مُستَقبلِ البَحثِ فإنما نَعني بهَا الكلماتِ بالمعنى العُرفيّ لا بالمعنى النَّحويّ إلَّا أن نُشِيرَ إلى ذلكَ ، فكلمةُ (لِربِّكَ) مثلاً هيَ كلمةٌ واحدةٌ عُرفاً ، لكنَّها ثلاثُ كلماتٍ في علمِ النَّحو .

أمَّا (الواو) العاطِفةُ فهِيَ تُعدُّ كلمةٌ مُستقلةٌ على كِلا الوَجهينِ ، فهِيَ كلِمةٌ في (عِلمِ النَّحوِ) ، لأنَّ حُرُوفَ المعَانِي مِن أقسامِ الكلامِ في العَربيَّة ، وجاءَ في تَعريفِ الحرفِ انَّهُ _كلمةٌ_ دَلَّت عَلى مَعنىً في غَيرِها وهِيَ كذلكَ كلِمةٌ في (عِلمِ العُرفِ!!) لأنَّها ليسَت جُزءاً مِن غَيرِها ، كما إنَّها مُستَقِلةٌ عِندَ الكتابةِ عمَّا قَبلَها وبَعدَها .

رابعاً : مع أجزائها :

ملاحظة : تذكر دائماً أننا نعتمد في العدِّ والحساب على رسم المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم الأكثر شهرة .

- عدد أجزائها ٢١ . _ مقاطعها الكتابية _

(إ * نا)*(أ * عطينٰك)*(ا * لكو * ثر)

(فصل) * (لر * بك)*(و) * (ا * نحر)

(إ * ن)*(شا * ئك)*(هو)*(ا * لأ * بتر)

*****

- عدد أحرف كلماتها التي تتألف من جزء واحد ٦ .

ف * ص * ل * و * ه * و

- عدد حروف كلماتها التي تتألف من جزأين ٢٤ .

إ * ن * ا * أ * ع * ط * ي
*

ن * ك * ل * ر * ب * ك * ا

* ن * ح * ر * إ * ن * ش * ا *
ن * ئ * ك

- عدد حروف الكلمات التي تتألف من ثلاثة أجزاء ١٢ .

ا * ل * ك * و * ث * ر * ا * ل
* أ * ب * ت * ر

*****

وقَصَدنا بالجُزءِ ، أو المقطَعِ الكتابيّ _هُنا_ كُلَّ حَرفٍ مُنفَرِدٍ ، أو مجموعَةٍ مِن الأحرُفِ مُتصلةٍ مَعَ بعضِها ، ومُنفصلةٍ عَن غَيرِها في الكِتابة .

خامساً : مع مقاطعها :.

- عدد مقاطعها الصوتية ٢٧ .

إن * نا * أع * طي * نا * كل * كو

* ثر * ف * صل * ل * ل * رب * ب * ك

* ون * حر * إن * ن * شا * ن * ئـ * ك

* هـ * ول * أب * تر

*****

وعَنينا بالمقطعِ الصَّوتيّ : المسَاحةَ الصَوتيةَ الواحِدةَ بلا فاصِل ، وقَد يَتألَّف مِن حَرفٍ واحدٍ مُتحرّكٍ ، أو حَرفينِ ثَانيهما سَاكن .

والفاصِلُ هُنا غَيرُ الفاصِلِ بالمعنَى الكتابيّ ، ومَعناهُ : هُوَ انطلاقُ _انبِعَاثُ _ الصَّوتِ مَرَّةً ثانيةً بَعدَ انقطاعِ النَّفَسِ أو فُتُورِهِ في المقطعِ السَّابق .

وللتعرُّفِ أكثرَ عَلى هَذا المعَنى يُرجَى مُراجَعةُ المَصنفاتِ في عِلمِ العَرُوض .

سادساً : مع حروفها :.

- عدد حروفها الهجائية _ بلا تكرار _ ١٨ .

إ * ن * ع * ط * ي * ك *

ل * و * ث * ر * ف * ص *

ب * ح * ش * ئ * ه * ت

*****

- عدد أحرف أوائل كلماتها _ بلا تكرار _ ٦ .

ا * ف * ل * و * ش * ه

- عدد أحرف أواخر كلماتها _ بلا تكرار _ ٦ .

ا * ك * ر * ل * و * ن

- عدد أحرف أوائل وأواخر كلماتها _ بلا تكرار _ ٩ .

ا * ف * ل * و * ش *

ه * ك * ر * ن

- عدد الحروف التي تقع بين أوائل وأواخر كلماتها _ بلا تكرار ١٥ .

ن * ع * ط * ي * ل * ك * و * ث * ص

* ر * ب * ح * ا * ئ * ت

- عدد أحرف أواسط كلماتها التي لها حرف أوسط _ بلا تكرار _ ٣ .

ن * ص * و

- عدد أحرفها التي تكررت في آياتها الثلاث _ بلا تكرار _ ٦ .

ا * ن * ك * ل * و * ر

- عدد أشكال _ صور _ حروفها بلا تكرار ٢٧ .

(إ * أ *ـأ * ا * ـا)* (ن * ـنـ * نـ) *(عـ) *(طـ)*(يـ) *(ـك

* ـكـ) * (ـو * و)*(ـثـ)*(ـر)*(فـ)* (صـ) * (لـ * ـل) * (بـ)

* (حـ) * (شـ) * (ئـ) * (هـ) * (تـ)

- عدد حروفها المرسومة _ المكتوبة _ جميعاً ٤٢ .

إ * ن * ا * أ * ع * ط * ي * ن * ك * ا

* ل * ك * و * ث * ر * ف * ص * ل *

ل * ر * ب * ك * و * ا * ن * ح * ر *

إ * ن * ش * ا * ن * ئ * ك * ه * و

* ا * ل * أ * ب * ت * ر

- عدد حروفها المرسومة الملفوظة ٣٩ .

إ * ن * ا * أ * ع * ط * ي * ن * ك * ل

* ك * و * ث * ر * ف * ص * ل * ل *

ر * ب * ك * و * ن * ح * ر * إ * ن *

ش * ا * ن * ئ * ك * ه * و * ل * أ *

ب * ت * ر

- عدد أحرفها المرسومة غير الملفوظة ٣ .

ا * ا * ا

*****

- عدد أحرفها المرسومة المعتلة ٩ .

ا * ي * ا * و * و * ا * ا * و * ا

- عدد حروفها المرسومة غير المعتلة ٣٣ .

إ * ن * أ * ع * ط * ن * ك * ل * ك

* ث * ر * ف * ص * ل * ل * ر * ب *

ك * ن * ح * ر * إ * ن * ش * ن * ئ *

ك * ه * ل * أ * ب * ت * ر

- عدد حروف كلماتها فردية الأحرف ١٢ .

إ * ن * ا * ف * ص * ل * و

* ش * ا * ن * ئ * ك

- عدد حروف كلماتها زوجية الأحرف ٣٠ .

أ * ع * ط * ي * ن * ك * ا * ل * ك * و *

ث * ر * ل * ر * ب * ك * ا * ن * ح * ر * إ

* ن * ه * و * ا * ل * أ * ب * ت * ر

*****

وسَيأتي لاحِقاً بأنَّ : عَدَدَ حُرُوفِها المنقُوطةِ ١٢ ، كَما أنَّ عَدَدَ حُرُوفِها غَيرِ المنقُوطةِ ٣٠ .

فتِلكَ سَبعَ عَشرَةَ حَقيقةً محكمةَ التَّنظيم ، شَامخةَ البُنيان ، ظاهِرةَ الإعجَاز ، وربَّما يَرِدُ عَليها مَا يُستغرَبُ مِنهُ في بَعضِ الحقائِق ، وهُوَ إنَّنا عِندَما عَدَدنا الأحرُفَ الأولى لكلماتِ السُّورةِ المباركةِ جَعلنا الواوَ هيَ الحرفَ الأوَّلَ (للواو العاطفة) ، وحِينما عَدَدنا أحرُفَها الأخيرةَ جَعلنا الواوَ هيَ الحرفَ الأخيرَ (للواو العاطفة) أيضاً ، فكيفَ جَازَ لَنا أن نفعَلَ ذَلك ؟ وجَوابُهُ إنَّ الشَّيءَ _الكلمةَ هنا_ إذا كانَت _بسِيطةً_ أي ليسَت مُركَّبةً ، يَكونُ أوَّلُها هُوَ نفسُهُ آخرَها ، وهُوَ هُوَ أوسطُها بعينِهِ ، وأُذُنِهِ ، وأَنفِه !! .

سابعاً : مع علاماتها :.

- عدد علاماتها ٥٤ .

- إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ

٥ ٩ ٦

- فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ ٱنۡحَرۡ

٤ ٦ ١ ٤

- إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ

٤ ٦ ٢ ٧

*****

العَلامةُ هَاهُنا كُلُّ عَلامةٍ وُضعَت فَوقَ الحَرفِ أو تحتَهُ ، سَواءٌ أكانَت جُزءاً مِنهُ أم لَم تَكُن .

ثامناً : مع نقاطها :.

- عدد نقاطها ١٨ .
- عدد حروفها المنقوطة ١٢ .

إنـــا أعطيـــنـــك الكوثـــر

فـــصل لربـــك وانـــحر

إن شـــانـــئك هو الأبـــتـــر

- عدد كلماتها المنقوطة ٩ ، وفي كل آية ٣ كلمات .

إنا * أعطينك * الكوثـر

فـصل * لربـك * انـحر

إن * شـانـئك * الأبـتـر

*****

- عدد حروف كلماتها المنقوطة ٣٩

وتحتَ هَذا البابِ عَشراتُ التناسُقاتِ الثلاثيَّةِ النُقطيَّةِ الأخرَى تَزيدُ عَلى الخمسينَ تَناسُقاً غيرَ مَا سَيأتي في الفصلِ الثَّاني ولكنَّنا لا نَودُّ أن نُثقلَ بِهَا كاهِلَ هَذا البَحثِ الذي نُريدُ لهُ أن يكونَ مَبنيَّاً عَلى الاختصَارِ تَسهيلاً عَلى القارئ ، ولكنهَا – أي بقيةَ التناسُقاتِ النُقطيةِ _ مَوجودةٌ لَمن طلبَها وتَصلُحُ لأن تكونَ كِتاباً لوحدِهَا ومُعجزةٌ برأسِها تَدخُلُ في ضِمنِ مَا نَستطيعُ أن نُسَميه الإعجازَ النُقطيّ في القُرآنِ الكريمِ الذي يَصحُّ أن نَعُدَّهُ فَرعاً مِن فُروعِ الإعجازِ الرَّقميّ ، فإنَّنا نَعتقدُ بأنَّ الإعجازَ الرقميَّ بَعدَ أن بَلغَ هَذِهِ المرحلةَ مِنَ النموِ والشُّمولِ فَقد حَانَ الوَقتُ _ أو كادَ_ بأن يكونَ ذا فُروعٍ عِلميةٍ مُتعدِّدةٍ أكثرَ تَخصُّصاً وتَركيزاً ومِنها هَذا الفَرعُ الذي سَمَّيناهُ بـ (الإعجازِ النُّقطيّ) .

تاسعاً : مع آية الكوثر :.

- عدد كلماتها ٣ .

إنـــا * أعطيـــنـــٰك * الكوثـــر

- عدد أحرف كلمتها الأولى ٣ .

إنـــــــا

- عدد أحرف كلمتها الثانية ٦ .

أعطيـــنـــٰك

- عدد أحرف كلمتها الثالثة ٦ .

الـكـوثـــــر

- عدد كلماتها _ نحويا _ ٦ .

إن * نا * أعطي * نا * ك * الكوثر

- عدد مقاطعها الصوتية _ عند الوصل _ ٩ .

إن * نا * أع * طي * نا * كل * كو * ثَ * رَ

- عدد أحرفها المكررة ٣ .

ا * ن * ك

- عدد أحرفها المنفصلة كتابةً ٣ .

إ * أ * ا

- عدد حروفها المتصلة كتابةً ١٢ .

نـــا * عطيـــنـــك * لكوثـــر

- مجموع تسلسلات حروفها ١٢٠

إنـــا أعـــطـــيـــنـــك الـــكـــوثـــر

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

عاشراً : مع كلمة الكوثر :.

- عددها التسلسلي ٣ .

إنـــا * أعطيـــنـــٰك * الكوثـــر
١ ٢ ٣

- عددها التسلسلي _نحوياً_ ٦ .

إن * نا * أعطي * نا * ك * الكوثر
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

- العدد التسلسلي لمقطعها الصوتي الأول ٦ .

إن * نا * أع * طي * نا * كل
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

- عدد أحرفها ٦ .

الـــــــكـــــــوثـــــــــر

- عدد أجزائها ٣ .

ا * لـــــكو * ثـــــر

- عدد مقاطعها الصوتية ٣ .

الـــــ * كـــو * ثـــر

- عدد علاماتها ٦ .

ألْـــكَـــوْثَـــــــــــرَ

- عدد حركاتها ٣ .

الـــــــكَـــــــوثَـــــــرَ

- عدد نقاطها ٣ .

ٱلْـكَـوْثَـــــــــــــــرَ

- مجموع تسلسلات أحرفها ٧٥

الـــــــكـــوثـــــــر

١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

كما إن العدد التسلسلي ــ الترتيبي ــ لكلمة (الكوثر) بين كل كلمات القرآن الكريم هو ٨٦٨١٧ وهذا العدد من مضاعفات الرقم ٣ أيضا !!

بُقعَةُ ضَوء :

الفَرقُ بينَ الحركةِ والعلامةِ هُوَ أنَّ الحركةَ ما تحرَّكَ بهِ الحرفُ عندَ النُّطقِ بهِ والحركاتُ هِيَ : الضَّمَّةُ ، والفَتحةُ ، والكَسرةُ لا غَير ، والعَلاماتُ مُطلَقُ مَا يُوضَعُ فَوقَ الحرفِ أو تحتَهُ كالشَّدةِ ، والمدَّةِ ، والسُّكون ، والغَريبُ أنَّ كثيراً مِن مُدرّسي اللغةِ العربيةِ ، والدَّارسينَ لها يَعدُّونَ السُّكونَ حَركةً ، معَ أنَّ السُّكونَ ليسَ هُوَ إلَّا عَدمَ الحرَكة ، فَيقعُونَ في تناقضٍ مُخجِل ،، والنَّتيجةُ هيَ إنَّ كلَّ حركةٍ علامةٌ ، وليسَت كلُّ علامةٍ حَركة ، فبينهُما عُمُومٌ وخُصُوصٌ مُطلَقٌ كما يُعبِّرُ المتمنطقُون ، فإذا قُلنا (علامة) فَقصدُنا ذَلكَ العُمُوم ، وإذا قُلنا (حركة) عَنينا

بهَا خُصُوصَ تِلكَ العَلاماتِ الثَّلاثِ التي تَعلَّمناها في دَرسِ القِراءةِ ، في القِراءةِ (الخَلْدُونيَّة) !! .. وعُذراً لتوضيحِ الوَاضحات !!!

حادي عشر : مع حرف الكوثر (الحرف الأول في الكلمة) :.

- عدد تكررات ألف الوصل في السورة المباركة ٣ .

أ * أ * أ

- عدد تكررات حرف الألف _ مطلقاً _ في السورة ٩ .

إ * ا * أ * أ * إ * ا * أ * أ

الثلاثية الذهبية

شخصيات السورة المباركة ٣ ، وهي :

١_ المعطي

٢_ المعطى

٣_ الشانئ الأبتر

وقد ورد ذكرُ المعطي (الله) جلّ جلاله في ٣ مواضع :

الأول : ضمير الجمع في كلمة (إنا)

الثاني : ضمير الفاعل في كلمة (أعطينك)

الثالث : (رب) في كلمة (لربك) .

وورد ذكرُ المعطى (محمد) صلى الله عليه وآله في ٣ مواضع :

الأول : الكاف في كلمة (أعطينك)

الثاني : الكاف في كلمة (لربك)

الثالث : الكاف في كلمة (شانئك) .

وورد ذكرُ الشانئ الأبتر في ٣ مواضع :

الأول : (شانئ)

الثاني : (هو)

الثالث : (الأبتر) .

أي تناسق وإحكام دقيق هذا ؟

ترد في السورة ٣ شخصيات ، أي بعدد الرقم الذي قام عليه نظام السورة المباركة ويرد ذكر كل شخصية من هذه الشخصيات الثلاث ٣ مرات !!

إن لم يكن هذا تصميماً ذكياً معجزاً فماذا نسميه ؟

وبالإضافة إلى ذلك فإن عدد الكلمات التي وردت فيها تلك الشخصيات الثلاثة ٦ كلمات ، أي ٣ × ٢

وهذه هي الكلمات : (إنا ، أعطيناك ، لربك ، شانئك ، هو ، الأبتر) .

وهي على نوعين :

الأول : ما تضمَّنت شخصية واحدة ، وهي هذه الكلمات (إنا ، هو ، الأبتر) .

فكلمة (إنا) لا تدل إلا على (الله)

وكلمة (هو) لا تدل إلا على (الشانئ الأبتر)

وكذلك الأمر في كلمة (الأبتر)

الثاني : ما تضمَّنت شخصيتين ، وهي هذه الكلمات(أعطينك ، ربك ، شانئك).

فكلمة (أعطينك) ذُكرت فيها شخصيتان (الله) و(النبي)

وكلمة (لربك) ذُكرت فيها شخصيتان (الله) و (النبي)

وكلمة (شانئك) ذُكرت فيها شخصيتان (الشانئ الأبتر) و (النبي)

ولا بدَّ من أنك لاحظت :

أنَّ عدد كلمات النوع الأول ٣

كما إنَّ عدد كلمات النوع الثاني ٣ أيضاً !!

*****

ـ يوجد في السورة المباركة (٣) أفعال هي : (أعطى) (صلِّ) (انحر) .

ـ يوجد فيها (٣) كلماتٍ توكيدية هي : (إن) (إن) (هو) .

ـ يوجد فيها (٦) ضمائر هي : (نا) (نا) (ك) (ك) (ك) (هو) .

خُلاصَةٌ لبعضِ ما سَبَق

هذِهِ خُلاصةٌ عامَّةٌ لما سَبقَ مِن عَناوينِ الفصلِ اخترنا مِن كُلِّ عنوانٍ فِقْرَتَهُ الأولى _غَالباً_ لكي تكونَ الفكرةُ مجتمعةً ومُتكاملةً في الذِّهن.

- عدد آياتها ٣ .
- عدد جملها ٦ .
- عدد كلماتها _ نحوياً _ ١٨ .
- عدد أجزائها ٢١ .
- عدد مقاطعها الصوتية ٢٧ .
- عدد حروفها ٤٢ .
- عدد علاماتها ٥٤ .
- عدد نقاطها ١٨ .
- عدد كلمات آية الكوثر ٣ .
- عدد أحرف كلمة الكوثر ٦ .
- عدد تكررات أوَّل حرف في كلمة الكوثر ٩ .
- عدد تكررات أوَّل علامة في كلمة الكوثر ٣ .

تَستَطيعُ الآنَ أَن تُلاحِظَ بوضوحٍ بأنَّ النِّظامَ الثُّلاثيَّ قَد استوعَبَ كُلَّ شَيءٍ في السُّورةِ المباركةِ بَدءاً من أَكبرِ شَيءٍ فيهَا وهُوَ الآيةُ إلى أصغَرِ شَيءٍ وهُوَ النُّقطة ، ولَم يَشذَّ مِن ذلكَ شَاذٌّ .

المراجع:

1- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار س حنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م: ٥٧١ / ٣٠ . والإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، لبنان، 1996م، الطبعة الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.

2- ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب:

3- ينظر: البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، 1994م، الطبعة الأولى.

4- ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د.عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1986.

5- ينظر: العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة: إعداد: محمود توفيق محمد سعد.

6- ينظر: التفسير المنير: وهبة بن مصطفى الزحيلى، دار الفكر المعاصر، بيروتدمشق، سنة الطبع، 1418 هـ.

7- ينظر: البرهان في ترتيب سور القران: أبي جعفر احمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، دار ابن الجوزي للطباعة، السعودية، 1990م، تحقيق: محمد شعبان.

8- ينظر: المناسبات في ترتيب آيات القرآن وسوره، د محمد أحمد يوسف القاسم، مكتبة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر.

9- ينظر: أسرار ترتيب القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل الناشر: دار الاعتصام، القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

10- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

11- ينظر: أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار الاعتصام، القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

12- ينظر: أسباب النزول، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1968، ولباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم، بيروت.

13- ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، دار الهداية.

14- ينظر: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، كتاب (الصلاة)، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

15- ينظر: صحيح البخاري، الأمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة ابن بردزبة البخاري الجعفي، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، حقوق الطبع محفوظة للناشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1981م.

16- ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر.

17- ينظر: كتاب تذكرة الأريب في تفسير الغريب، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي.

مكتبة نور

2020